



طريق المعلم في علم المعلم

تأليف

الإمام برهان الإسلام «الزنوجي»

تلميذ صاحب الهدى

عن بشرحه وضبط الفاسد

عبد العزيز صقر شاهين

أحد علماء وmasters الأزهر الشريف

الناشر

كتاب في كتب و خسانه

مقابل آرائهم بايغ - كراچي - ۱

(فصل) في تعظيم العلم وأهله (فصل) في الجد والمواظبة والمعنة
 (فصل) في بداية السبق وترتيبه وقدره (فصل) في التوكل
 (فصل) في وقت التحصيل (فصل) في الشفقة والتصيحة
 (فصل) في الاستفادة (فصل) في الورع حال التعلم
 (فصل) فيها يورث المحفظ وفيها يورث النسيان (فصل) فيها يجلب
 الرزق وما يمنعه، وما يزد في العمر وما ينقصه. وما توفيقي إلا بالله عليه
 توكلت وإليه أنيب

— فصل في ماهية العلم والفقه وفضله —
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم
 ومسئلة ،
 أعلم أنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وإنما يفترض عليه طلب
 علم الحال^(١)

(١) علم الحال : رد بـ الأحوال والشؤون التي لا مدان نعم للإنسان في حياته

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله الذي فضل بي آدم بالعلم والعمل على جميع العالم، والصلة
 والسلام على محمد سيد العرب والعلم، وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم
 والحكم (وبعد) فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا يجذبون إلى
 العلم ولا يصلون، ومن منافقه وثمراته يحرمون، لما انهم أخطئوا اطرافه
 وتركوا اشرافه، وكل من أخطأ الطريق ضل، فلا ينال المقصود، قل
 أو جل، أردت وأحيطت أن أبين لهم طريق التعليم، على ما رأيت
 في الكتب وسمعت من أستاذى أولى العلم والحكم، رجاء الدعاء إلى من
 الراغبين فيه الخصين ، بالفوز والخلاص في يوم الدين ، بعد ما استغرقت
 الله تعالى فيه ، وسميت « تعلم المتعلِّم طريق التعليم » وجعلته فضولاً :
 (فصل) في ماهية العلم والفقه وفضله (فصل) في آلية في حال التعلم
 (فصل) في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات

يُكُونُ فَرْضًا، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِدًا. وَكَذَلِكَ فِي الصُّومِ وَالزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحِجَّةِ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْوِعِ إِنْ كَانَ يَتَجَرَّ قِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^(١) رَحْمَةُ اللهِ: أَلَا تُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الرَّهْدِ؟ قَالَ: صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبَيْوِعِ! يَعْنِي الرَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الْفُسُدَاتِ وَالْمُكْرُوهَاتِ فِي التِّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائرِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحِرَفِ. وَكُلُّ مَنْ أَشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِّنْهَا يَفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحْرِزِ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ. وَكَذَلِكَ يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْأَحْوَالِ الْقُلُوبِ: مِنَ التَّوْكِلِ، وَالْإِنْسَابِ، وَالْخَشِيشَةِ، وَالرَّضَا، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. وَشَرْفُ الْعِلْمِ لَا يَنْخُنُ عَلَى أَحَدٍ: إِذَا هُوَ الْمُخْتَصُ بِالْإِنْسَابِ لَا نَجْعَلُ الْخَصَالَ سَوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَّاتِ كَالشَّجَاعَةِ وَالْجَرَاءَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالْجُبُودِ؛ وَالشَّفَقَةِ وَغَيْرَهَا سَوَى الْعِلْمِ؛ وَبِهِ أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) محمد بن الحسن: يصيّه أبي حنيفة صلة قرابة وهو من تلاميذ أبي برسف

فَإِنَّهُ يُقَالُ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْخَالِ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حَفْظُ الْخَالِ، وَيَفْتَرَضُ عَلَى الْمُتَلِمِ طَلْبُ مَا يَقْعُدُ لَهُ فِي حَالِهِ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْلِهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي فَتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقْعُدُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا يُؤْدِي بِهِ فَرْضُ الصَّلَاةِ وَيَحْبُّ عَلَيْهِ يَقْدِرُ مَا يُؤْدِي بِهِ الْوَاجِبُ، لَا نَجْعَلُ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرْضِ

كَالإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ الضرُورِيَّةِ وَطَرَائِقِ السُّعْيِ إِلَى الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ لَا كِتَابَ مَا يَعْنِفُظُ الرِّزْقَ، فَلَا يَجِدُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا يَجِدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَبْصِلُ بِهِ إِلَى الإِيمَانِ مِنْ عِلْمِ أَصْوَلِ الدِّينِ، وَلَا يَجِدُ أَنْ يَعْرِفَ مَا فِرْمَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ وَاجِباتِهِ، يَجِدُ أَنْ يَنْظَرَ فِي عِلْمِ الْفَقَهِ لِيَعْرِفَ حُدُودَ ذَلِكَ وَلَا يَجِدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ سِبِيلَ السُّعْيِ إِلَى الرِّزْقِ وَالْحَصُولِ عَلَى الْمَاعِشِ يَجِدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ الْحَيَاةِ مَا يَسْتَطِعُ تَلَهُ.

فَالْفَرْضُ الَّذِي يَرِى إِلَيْهِ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ الْوَصْلُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى السَّمَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَإِذْ كَرِوَ اللهُ كَثِيرًا الْمُلْكَ تَفَلَّحُونَ»، سُورَةُ الْجَمَّةِ: آيةُ (١٠) وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبَيْقَى مِنَ الْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصْلُوْتُ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ اتَّهَرُوا، وَتَعْلَمُوا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا تَعْرِبُونَ بِهِ كِتَابَ اللهِ ثُمَّ اتَّهَرُوا، وَتَعْلَمُوا مِنَ الْجَوْمِ مَا تَهْدُونَ بِهِ فِي ظَلَّمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ اتَّهَرُوا».

فَإِنْ فَقِهَا وَاحِدًا مُتَوْرِعًا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ^(١)
 وَكَذَلِكَ فِي سَاتِرِ الْأَخْلَاقِ تَحْمِلُ الْجُنُودُ وَالْبُخْلُ وَالْجِنْبُ وَالْجَرَأَةُ وَالْكَبْرُ
 وَالْتَّرَاضِعُ وَالْغَفَّةُ وَالْإِسْرَافُ وَالْتَّقْيَةُ وَغَيْرُهَا، فَإِنَّ الْكَبْرَ وَالْبُخْلَ وَالْجِنْبَ
 وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّرَجُزُ عَنْهَا إِلَّا بِسُلْطَانِهَا وَعِلْمٍ مَا يُضَادُهَا،
 فَيَقْتَرَضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا. وَقَدْ صَنَفَ السَّبِّدُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ الشَّيْخُ
 نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْفَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنِعْمَ مَا صَنَفَ، فَيَجِدُ عَلَى
 كُلِّ مُسْلِمٍ حَفْظَهَا

وَأَمَّا حَفْظُ مَا بَقَعَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِينِ فَقَرْضٌ عَلَى مَسِيلِ الْكَفَايَةِ، إِذَا
 قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَدِ مِنْ يَقُولُ

(١) لِيْسَ الْمَرْادُ بِالْأَلْفِ تَحْدِيدُ الْمَدْدِ، بِلِ يَانِ الْكَثْرَةِ. وَإِنَّمَا كَانَ الْفَقِيهُ
 الْمُتَرَعُ الْوَاحِدُ أَشَدُ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَابِدِينِ غَيْرِ الْفَقِيهِ لَأَنَّ الْفَقِيهَ
 عَلَى يَقِيْنِهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَلَا يُسْتَطِعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَضْلِهِ، أَمَّا الْعَابِدُ غَيْرُ الْفَقِيهِ
 فَهُوَ يَعْدُهُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، فَنَّ الْمَبِينُ عَلَى الشَّيْطَانِ أَنْ يَوْرِطَهُ فِي الْضَّلَالِ دُونَ
 أَنْ يَعْصُمُ، وَمِنَ الْسَّهْلِ أَنْ يَوْقَعَهُ فِي جَاهِلٍ مُتَشَابِكٍ مِنَ الشَّيْهِ وَالشَّكُوكِ.

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ وَأَمْرُهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ^(٢) وَإِنَّمَا شَرَفَ
 الْعِلْمَ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرْدُ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ؛ كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحَمَّدِ بْنِ الْمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
 تَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعِنْوَانٌ لِكُلِّ الْحَامِدِ^(٣)
 وَكُنْ مُسْتَفِدًا كُلُّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبِغْ فِي بُحُورِ الْفَوَانِدِ^(٤)
 تَفَقَّهْ فَإِنَّ الْفَقَهَ أَفْضَلُ قَانِدٍ إِلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَعْدَلُ فَاصِدٍ^(٥)
 هُوَ الْعِلْمُ الْمَهَادِيُّ إِلَى سَنَنِ الْمُهْدَىٰ هُوَ الْمَحْسُنُ يَنْجُي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَادِ^(٦)

(١) حِيثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: « وَعِلْمَ آدَمَ الْأَسْعَادَ كَلَّا ثُمَّ عَرَضْنَاهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
 قَالَ أَنْتُوْنَى بِاسْمَاءِ مَوْلَاهِ إِنْ كُنْتُ مَادِقِينَ » سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ (٢١)
 وَأَمْرُهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « وَإِذْ قَلَّا لِلْمَلَائِكَةِ اجْمَعُوا آدَمَ فَجَدُوا
 إِلَيْهِمْ سُورَةَ الْبَقَرَةِ آيَةَ (٣٤) . وَالسُّجُودُ مِنْهَا الْخَضُوعُ

(٢) الْحَامِدُ جَمِيعَ مُحَمَّدَةً بِفَتْحِ الْمَبِينِ مُصْدِرُ مِيَمِيِّ بِمَعْنَى الْمُحْمُودَةِ: يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ
 دِلْلَى عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَأَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ وَخَصَالٍ مُحْمُودَةٍ

(٣) أَيُّ فِي الْفَوَانِدِ الَّتِي كَالْبُحُورِ كَثْرَةً وَعَظَمَا وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

« وَقَلَ رَبُّ زَدَنِي عَلَيَا » سُورَةُ طَهِ، آيَةُ (١١٤)

(٤) فَاصِدٌ: عَادِلٌ (٥) السَّنَنُ بِفَتْحِ السِّينِ: الْطَّرِيقُ

بِهِ أَشْتَرُ كُوَا بِجِعَافِ الْمَائِمِ^(١) فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ وَيَحْرِمُهُمْ أَهْلَ الْبَلَدَةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ عِلْمَ مَا يَقْعُدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَخْوَالِ هُوَ بِمَزَلَةِ الْعَلَامِ لَا يَبْدِلُ كُلَّ وَاحِدٍ^(٢) مِنْهُ، وَعِلْمُ مَا يَقْعُدُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيْنِ بِمَزَلَةِ الدُّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرَضِ فَقَطْ . وَعِلْمُ التَّجُوْرِ^(٣) بِمَزَلَةِ

(١) المائم: الإمام والمعصبة. وإنما اعتبر الجميع مشركين في الإمام والمعصبة بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان لأن مصلحة عامه، فإذا انقطعت حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان، خاجة الجميع إليها دائمة لانقطع.

(٢) يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للرء لا يستطيع أن يردهي واجباته الدينية والدنيوية إلا به، كما لا يستطيع أن يعيش بدون طعام يقيم به أوده ويسد رمقه. فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعا على كل فرد بعينه، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان، كما يحتاج الإنسان إلى الدواء حين المرض، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة إليها، فشلا لا يجب على كل فرد أن يكون طليبا، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يرض منهن.

(٣) يظهر أن المزلف لا يقصد بعلم التجorum علم الفلك بدليل قوله: «المرب من قضاء الله غير ممكن...»، فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل الحرب من قضاء الله، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والآفلات، ونظام سيرها، وقواعد

الْمَرَضِ قَتَلَهُ حَرَامٌ لَأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَالْمَرَبُّ مِنْ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ أَوْفَاتِهِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّافِعَةِ لِلْبَلَاءِ، وَيَسَّالُ اللهَ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيَصُونَهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْبَلَاءِ وَالآفَاتِ، فَإِنَّ مَنْ رَزَقَ الدُّعَاءَ، لَمْ يَحْرِمْ الْإِجَابَةَ، فَإِنَّ كَانَ الْبَلَاءُ مُقْدَرًا يُصْبِحُ لَا حَالَةَ، لَكِنْ يَبْرُهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَرْزُقُهُ الصَّبَرَ بِرَبْكَهُ الدُّعَاءَ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا قَعَلَ مِنَ النَّجُومِ قَدْرَ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ فَيَجُوزُ ذَلِكَ

الْجَادِيَّةِ بَيْنَهَا، وَأَوْقَاتَ شَرُوقِهِ وَغَرْبِهِ... وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَشَدُ الْاحْتِاجَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الشُّتُّونِ الْدِينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، وَمِنْ يَطْلَعُ عَلَى أَجْبَاثِ الْفَلَكِيْنِ الدَّفِيقَةِ لَا يَسْعُهُ إِلَّا أَنْ يَغْرِي سَاجِدًا لِخَالِقِ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي يَهْرُبُ الْمُقْوَلُ وَيَدْهُشُ الْأَلْبَابَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأَوْلِ الْأَلْبَابِ»، سُورَةُ آلِ هُمَرَانَ، آيَةُ (١٩٠) وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصْلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ اتَّهُوَا وَتَعْلَمُوا مِنَ الْعَرِيَّةِ مَا تَعْرِبُونَ بِهِ كِتَابَ اللهِ ثُمَّ اتَّهُوَا، وَتَعْلَمُوا مِنَ النَّجُومِ مَا تَهْنِدُونَ بِهِ فِي ظَلَامَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ اتَّهُوَا) .

وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أُولَاهَا وَآخِرَاهَا، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَخْبُتُ
مَا يَضُرُّهَا كَيْلًا يَكُونُ عَقْلُهُ وَعَلَيْهِ حُجَّةٌ فِي زِدَادِ عَقْوَةٍ، نَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ سُخْطَهُ وَعَقَابِهِ
وَقُدُورَدَفِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٍ وَآخْبَارٍ صَحِحَّةٌ مُشْهُورَةٌ لَمْ تُشْتَغِلْ
بِذِكْرِهَا كَيْلًا يَطْوُلُ الْكِتَابَ^(١)

﴿فَصْلٌ فِي النِّيَةِ حَالِ التَّعْلِمِ﴾

فُمْ لَابْدُ لَهُ مِنَ النِّيَةِ فِي زَمَانِ تَعْلِمِ الْعِلْمِ، إِذَا النِّيَةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِيمَانُ الْأَعْمَالِ بِالْيَاتِ، حَدِيثُ

(١) قَالَ تَعَالَى : « قَلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا
يَذَكُرُ أُولُوا الْأَلَبَابُ »، سُورَةُ (الرَّمْرَم) آيَةُ (٩)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَ : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »
سُورَةُ الْجَادَةِ آيَةُ (١١)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَ : « يَرْقَى الْحَكْمَةُ مِنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَرْتَقِي بِالْحَكْمَةِ فَقَدْ أُوْتَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلَبَابُ »، سُورَةُ الْبَرَّ آيَةُ (٢٦٩) وَجَاءَ فِي الْبَخَارِيِّ
أَنَّ النِّيَةَ صَلِيقَةَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ - خَيْرُ الدِّينِ
وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ ، وَشَرُّ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهَلِ ،

وَمَا تَعْلَمُ عِلْمُ الْطَّبِّ فَيَجُوزُ لَاهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسَابِبِ، فَيَجُوزُ تَعْلِمُهُ
كَسَارِ الْأَسَابِبِ، وَقَدْ تَدَأْوِي النِّيَةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ حُكِيَّ
عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : الْعِلْمُ عَلَيْهِنَّ : عِلْمُ الْفَقِهِ لِلْأَدِيَّاتِ
وَعِلْمُ الْطَّبِّ لِلْأَبِدَانِ، وَمَا وَرَأَهُ ذَلِكَ بُلْغَةُ بَلْغَسِ (١)

وَمَا تَفَسِّرُ الْعِلْمُ فَهُوَ صَفَةٌ يَتَجَلَّ بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذَكُورُ^(٢)
كَمَا هُوَ . وَالْفَقِهُ : مَعْرِفَةُ دَقَّاتِ الْعِلْمِ مَعَ نَوْعِ (٣) عِلَاجٍ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : الْفَقِهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا . وَقَالَ : مَا الْعِلْمُ إِلَّا عَمَلٌ يَهُ
وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْأَجِلِ . فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِلَّا يَغْفَلَ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بُلْغَةُ بَلْغَسِ : كَفَافِيَةُ بَلْغَسِ ، أَيْ يَكْنِي التَّحْدِيدَ بِهِ فِي الْجَلْسِ
وَلَوْ صَحَّ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَذَا فَلِيُّسْ يَعْتَدُ مِنْهُ أَنْ غَيْرَ
هَذِينَ الْمُلْمِينَ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ سَوْيَ التَّحْدِيدِ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ ، وَإِنَّمَا يَعْتَدُ أَنَّهُ يَجِبُ
وَجْوَابُ عَبْنِي عَلَى كُلِّ فَرِدٍ أَنْ يَعْرِفَ مِنَ الْفَقِهِ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ دِينُهُ وَتَصْحُّ عَادَتُهُ
وَمِنْ عِلْمِ الْطَّبِّ مَا يَحْفَظُ بِهِ صَحَّتُهُ وَيَنْتَقِي أَسَابِبُ الْأَمْرَاضِ وَهُوَ مَا يُسَمِّي « عِلْمُ تَدِيرِ
الصَّحَّةِ » ، وَمَا عَادَ هَذِينَ الْمُلْمِينَ فَهُوَ وَاجِبٌ وَجْوَابًا كَفَافِيَةٌ

(٢) الْمَذَكُورُ : أَيْ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِلْمُ : كَمَا هُوَ : أَيْ عَلَى حَقِيقَتِهِ

(٣) هَذَا تَعْرِيفُ الْفَقِهِ بِالْمَعْنَى الْغَرْوِيِّ الْعَامِ الَّذِي يَشْمَلُ كُلَّ الْعِلُومِ

عند الناس

أَفَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ الْأَسْتَاذُ قَوْمُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
إِسْمَاعِيلِ الصَّفارِ الْأَنْصَارِيِّ إِمَلَّا لَأَنِّي حَنِيفَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى شَعْرًا:
مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعِمَادِ فَازَ بِفَضْلِ مِنَ الرِّشَادِ
فِي الْخَرَانِ طَالِيَهُ لَيْلَ فَضْلٍ مِنَ الْعِبَادِ
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايَةِ الْمُنْكَرِ وَتَفْعِيْدِ
الْحَقِّ وَإِعْزَازِ الدِّينِ، لَا لِنَفْسِهِ وَهُوَهُ، فَيُجُوزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَقِيمُ بِهِ الْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايَةِ الْمُنْكَرِ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَيَاهُ
يَتَعَلَّمُ الْعِلْمُ بِجُهْدِ كَثِيرٍ فَلَا يَصْرُفُهُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ
هِيَ الدِّينُ أَقْلَى مِنَ الْقَلِيلِ وَعَاشَقُهَا أَذْلَى مِنَ الدَّلِيلِ
تَصِمُّ بِسُرْحَرِهَا قَوْمًا وَتَعِيِّي فَهُمْ مُتَحِرُّونَ بِلَا دَلِيلٍ
وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ الْأَيْدِلُ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ فِي غَيْرِ مَطْمِعٍ، وَيَتَحَرَّزُ عَمَّا فِيهِ مَذْلَةٌ
الْعِلْمُ وَأَهْلُهُ، وَيَكُونُ مُتَوَاضِعًا، وَالْتَّوَاضُعُ بَيْنَ النَّكْبَرِ وَالْمَذْلَةِ وَالْغَنَّةِ،
عَنْ وَلَائِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلَ بِهِ قَلَّا يَرْغَبُ فِيهَا

صَحِّحٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ
أَعْمَالِ الدِّينِ وَيَصِيرُ بِهِ مُحْسِنُ الْبَيْةَ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكُمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ
بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدِّينِ بُشُورَةَ الْآخِرَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ
يَنْبَغِي الْمُتَلَمِّعُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبَارَ الْآخِرَةِ وَإِذَا الْجَهَلُ عَنْ
نَفْسِهِ وَعَنْ سَازِ الْجَهَالِ وَإِحْيَا الدِّينِ وَإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ
بِالْعِلْمِ وَلَا يَصْحُ الرُّهُدُ وَالْقَوْى مَعَ الْجَهَلِ، أَشَدَّنِي الْأَسْتَاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
الْأَجْلُ بِرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْهَدَايَةِ لِعَضْضِمِهِ:

فَسَادَ كَبِيرُ عَالَمٍ مُهَبِّثٌ وَأَكْبَرُ مِنْ جَاهِلٍ مُهَنْسِكٌ
هُمَا فَتَّةُ فِي الْعَالَمَيْنِ عَظِيمَةٌ لَمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَسَكُّ
وَيَنْبَغِي بِهِ الشَّكَرَ عَلَى نَعْمَةِ الْعِقْلِ، وَحَمْخَةُ الْبَدْنِ وَلَا يَنْبَغِي بِهِ إِقْبَالٌ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا إِنْجَلَابٌ حُطَّامِ الدِّينِ، وَالْكَرَامَةُ عِنْ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَيْدِي لَا عَقْلَتُمْ وَتَبَرَّاتُمْ
عَنْ وَلَائِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلَ بِهِ قَلَّا يَرْغَبُ فِيهَا

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ
أَشَدَّ الشِّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجْلِ الْأَسْتَاذِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ بِالْأَدِيبِ
الْمُخْتَارِ وَحْمَهُ أَنَّهُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ خَصَالِ الْمُتَقِّيِّ
وَبِهِ التَّقِّيَّةُ إِلَى الْمُعَالِيِّ يَرْتَقِي
وَمِنَ الْعَجَابِ بِجُبُّ مِنْ هُوَ جَاهِلٌ
فِي حَالِهِ أَهُوَ السَّعِيدُ أَمِ الشَّقِيقُ
أَمْ كَيْفَ يَحْتَمِمُ عُمْرَهُ أَوْ رُوحَهُ
يَوْمَ النَّوْىِ مُتَسْفِلٌ أَوْ مُرْتَقِيٌّ
وَالْكَبِيرِيَّةُ لَرِبَّنَا صِفَةٌ يَهُ مُخْصُوصَةٌ فَجَنِبْنَا وَأَنْهَى
فَالْأَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ : عَظَمُوا عَمَائِكُمْ، وَوَسَعُوا أَكَامِكُمْ^(١)
وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَنَلَا يَسْتَخِفُ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ
عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةُ لِيُونُسَ بْنَ خَالِدَ السُّعْدِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهِ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ : يَجِدُهُ مِنْ يَطْلُبُهُ . وَقَدْ كَانَ أَسْتَاذُنَا شِيْخُ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه يبني للعلم أن يظهر بالظاهر الذي يكتب الإجلال
والاحترام تعظيمًا للعلم وإكبارًا لشأنه .

بِرْهَانُ الْأَئْمَةِ عَلَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْعَزِيزَ أَمْرَنِي بِكِتَابِهِ عِنْدَ
الرُّجُوعِ إِلَى بَلْدِي وَكُنْتُهُ ، وَلَا بُدَّ لِلْمُدْرِسِ وَالْمُفْتَى فِي مُعَالَمَاتِ النَّاسِ مِنْهُ

﴿فِصْلٌ فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأَسْتَاذِ وَالشَّرِيكِ وَالثَّبَاتِ﴾

يَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ^(١) وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ
دِينِهِ فِي الْحَالِ . ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ ، فَيَقْدِمُ عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالْمُعْرِفَةِ ، وَيُعْرَفُ
اللَّهُ تَعَالَى بِالْدَلِيلِ ، فَإِنْ إِيمَانَ الْمُقْلِدِ وَإِنْ كَانَ صَحِحًا عَنْهُ لَكِنْ يَكُونُ أَنَّمَا
بَرَكَ الْأَسْتَدْلَالُ^(٢) وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ^(٣) دُونَ الْمُحْدَنَاتِ قَالُوا : عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ

(١) أَحْسَنُ كُلِّ عِلْمٍ مَا كَانَ مِنْ جُرْهِهِ وَصَرِيْحِهِ ، وَخَلَقَ مِنَ الْمَنَافِعِ
وَالْخَلَافَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَيْمًا أَحَدٌ لَا ، وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَهْ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غُورٌ نَخْدُوا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ
(٢) أَيْ مُعْرِفَةِ الدَّلِيلِ . وَأَفْضَلُ الْأَدَلةِ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ فَطْرَيَا بِسْطَانِكَذَلِكَ
الدَّلِيلُ النَّاصِحُ الَّذِي قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ فِي لُغَةِ قُرْيَةٍ صَرِيْحَةً : الْبَرْعَةُ تَدَلُّ عَلَى الْبَعِيرِ
وَالْأَمْرُ يَدَلُ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَأَرْضُ ذَاتِ بَخَاجٍ ، وَسَمَاءُ ذَاتِ أَبْرَاجٍ ، أَفَلَا تَدَلُّ

عَلَى الْعَلِيِّ الْفَدِيرِ ؟

(٣) بِرِيدَ بِالْعَتِيقِ مَا تَمَّ الْاِنْتَفَاقُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ قَامَ الْبَرْهَانُ الْفَاطِحُ عَلَى صَحَّتِهِ ، وَبِرِيدَ
بِالْحَدِيثِ مَا يَرَالِ الْخَلَافُ فِي هُدُوْدِهِ وَلَمْ تَنْكُ أَدَلَّةُ الْأَرَاءِ الْمُتَصَادِمَةِ فِي يَنْقُضِ

وَلَيَأْكُمُ الْمُحْدَثَاتِ، وَلَيَأْكُمْ أَنْ تَشْتَغِلَ بِهَا الْجَدَلُ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ أَنْفَرَاضِ
الْأَكْلَرِ مِنَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُ الطَّالِبَ عَنِ الْفِقْهِ، وَيُضِيِّعُ الْعُمَرَ، وَيُوَدِّعُ
الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ^(١) وَأَرْتَقَاعِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ
كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ^(٢) وَأَمَّا أَخْتِيَارُ الْأَسْتَادِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمَ
وَالْأَوْعَزَ وَالْأَسْنَ، كَمَا أَخْتَارَ أَبُو حَيْفَةَ حَمَادَ بْنَ سُلَيْمَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ بَعْدَ
الْتَّأْمِلِ وَالْتَّفَكُّرِ وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شِيخًا وَقُورًا حَلِيمًا صَبُورًا. وَقَالَ: ثَبَّتَ عَنِّي
حَمَادَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَقَمْتُ بِهِ. قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ سَعَيْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سِرْقَدٍ يَقُولُ
إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَارِرٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الْذَهَابِ
إِلَى بُخَارَى طَلَبِ الْعِلْمِ - وَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَارِرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ

بَعْضُهَا بَعْضًا، وَذَلِكَ لَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْدَّلِيلِ أَنْ يَمْنَدِدْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ الْبَرَهَانُ عَلَى صِحَّتِهِ

(١) أَشْرَاطُ جَمْعِ شَرْطِ بَعْثَةِ الشَّيْنِ وَرَأْءِ الْعَلَمَةِ. أَيْ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(٢) يَشِيرُ إِلَى مَا رَوَاهُ الدِّيْلِيُّ عَنْ أَبْنَى مُسْعُودَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: هُنَّ الَّذِينَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَنْ يَفْتَرِ إِلَى مَاعِنْهُ
وَعَلَيْكُمُ الْعِلْمُ، وَلَيَأْكُمُ الْمُحْدَثَاتِ، وَلَيَأْكُمُ الْبَعْدُونَ وَالْمُنْتَهَى، وَعَلَيْكُمُ الْعِلْمُ

تَعَالَى أَمْرُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَارَةِ فِي كُلِّ الْأَمْرَوْرِ، وَلَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ بِالْمُشَارَةِ وَكَانَ يُشَارِرُ أَخْبَارَهُ فِي جَمِيعِ
الْأَمْرِ حَتَّى حَرَاجَ الْبَيْتِ قَالَ عَلَيْهِ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ: مَا هَلَكَ أَمْرُكُ عَنِ
مُشَارَةِ وَقِيلَ: النَّاسُ رَجُلٌ وَنَصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ، فَالرَّجُلُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ
صَاحِبٌ وَيُشَارِرُ، وَنَصْفُ الرَّجُلِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَاحِبٌ، وَلَكِنْ لَا يُشَارِرُ
أَوْ يُشَارِرُ وَلَكِنْ لَأَرَى لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِنْ لَأَرَى لَهُ وَلَا يُشَارِرُ . قَالَ
جَعْفُرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسْعَيْنَ الثُّوْرِيَّ: شَارِرٌ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى - وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأَمْرِ وَأَصْبَحَهَا فَكَانَتِ الْمُشَارَةُ

فِيهِ أَمْ وَأَوْجَبَ^(١) - قَالَ الْحَكِيمُ: إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى لَا تَعْجَلْ فِي

الْاِخْتِلَافِ^(٢) إِلَى الْأَنْتَهَى وَامْكُثْ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَأْمَلْ وَتَخْتَارَ أَسْتَادًا،

(١) مَا بَيْنَ الشَّرْطَيْنِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ بَلْ مِنْ كَلَامِ الْمُؤَفِّسَةِ هَذِهِ
بَيْانُ أَهْمَيَّةِ الْمُشَارَةِ

(٢) الْاِخْلَافُ لِلْأَنْتَهَى هُوَ التَّرَدُّدُ عَلَى مَجَالِسِهِ لِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُمْ .

إِنَّ الْمَوْىَ لَهُ الْهَوَانُ بِعِينِهِ وَصَرِيعُ كُلِّ هَوَى صَرِيعُ هَوَانٍ
وَيَصْرِيغُ عَلَى الْمَحْنِ وَالْمَلَائِكَ قَدْ قِيلَ : خَرَانُ الْمَنَّ عَلَى قَاطِرِ الْمَحْنِ .
وَأَنْشَدَتْ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
إِلَّا لَاتَّسَلُ الْعِلْمُ إِلَيْهِ سَائِنِكَ عَنْ بَمْوَعِهَا بِيَانِ
دَكَّاءٍ وَحِرْصٍ ، وَأَصْطِبَارٍ ، وَبَلْغَةٍ^(١) وَإِرْشَادُ أَسْتَاذٍ ، وَطُولُ زَمَانٍ
وَأَمَا أَخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْجَهْدَ وَالْوَرْعَ وَصَاحِبَ الطَّبِيعَ
الْمُسْتَقِيمَ ، وَيَفِرُّ مِنَ الْكَسْلَانَ وَالْمَعْطَلَ وَالْمِكْنَارَ وَالْمَفْسَدَ وَالْفَتَانَ^(٢)
قَالَ الشَّاعِرُ :

عَنِ الْمَرْءِ لَاتَّسَلُ وَيَصْرِيغُ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي^(٣)

(١) البلقة : ما يتبلغ به من العيش

(٢) المكنار : كثير الكلام ، والفتان : هو من يثير الفتن والمنازعات
بَيْنَ النَّاسِ

(٣) الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله :
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارِهِ وَلَا تَصْبِحْ الْأَرْدِي قَرْدِي مَعَ الرَّدِي

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالَمٍ وَبَدَاتَ بِالْبَيْقِ^(١) عَنْهُ رُبَّا لَا يَعْجِبُكَ دَرْسُهُ
فَتَرَكَهُ وَنَذَهَبَ إِلَى آخَرَ فَلَا يُبَارِكُكَ فِي التَّعْلِمِ ، فَتَأْمَلُ شَهْرِينِ فِي اخْتِيَارِ
الْأَسْتَاذِ وَشَأْوِرَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فَتَبْثُتْ عَنْهُ حَتَّى
يُكُونَ تَعْلِمُكَ مُبَارِكًا وَتَنْفَعَ بِكَ كَثِيرًا . وَاعْلَمُ أَنَّ الصَّبَرَ وَالثَّبَاتَ
أَصْلُ كَبِيرٍ فِي جَمِيعِ الْأَمْوَارِ وَلِكُنَّهُ عَزِيزٌ كَمَا قِيلَ :

لَكُلُّ إِلَى شَأْوِ الْعَلَا حَرَكَاتُ وَلَكُنْ عَزِيزٌ فِي الرُّجَالِ نَبَاتُ
قِيلَ : الشَّجَاعَةُ ، صَبَرَ سَاعَةً ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتْ وَيَصْرِيغَ عَلَى
أَسْتَاذٍ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَرُكَ أَبْتَرَ^(٢) وَعَلَى فَنٍ حَتَّى لَا يَشْتَغلَ بِقَنْ آخَرَ
قَبْلَ أَنْ يُتَقْنَ الْأُولَى ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَتَقَلَّ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةِ
فَإِنْ ذَلِكَ كَمَّهُ يَفْرُقُ الْأَمْوَارَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ ، وَيَضِيعُ الْأَوْقَاتَ ، وَيَؤْذِي
الْمَعْلُومَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِيغَ عَمَّا تَرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهُوَ أَهْوَأُ قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بَدَأَتْ بِالْبَيْقِ عَنْهُ : أَيْ بَدَأَتْ بِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ قَبْلَ التَّأْمِلِ وَجَسِنَ الْأَخْتِيَارِ .

(٢) أَبْتَرَ : نَاقِصٌ .

فاعتبر الأرض باسمها واعتبر الصاحب بالصاحب^(١)
«فصل في تعظيم العلم وأهله»

اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينفع به إلا تعظيم العلم وأهله ،
 وتعظيم الاستاذ وتقديره ، فقد قيل : ما وصلَ مَنْ وصلَ إِلَى الْحُرْمَةِ^(٢)
 وما سقطَ مَنْ سَقَطَ إِلَى بَرْكَ الْحُرْمَةِ . وقيل : الْحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاغِيَةِ .
 ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وبترك
 الحرم ، ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم . قال على كرم الله وجهه : أنا عبد
 من على حرقاً واحداً ، إن شاءَ باع ، وإن شاءَ أعتق ، وإن شاءَ استرق .
 وقد أنشدت في ذلك شعراً :

(١) فاعتبر الأرض باسمها : يمكن أن يقال إن المراد باسمها الأسماء التي
 تطلق عليها : فكلمة ضيعة تدل على أنها أرض ذات زرع وضرع ، وكلمة حديقة
 تدل على أنها ذات أشجار وثمار ... ويمكن أن يقال إن المراد باسمها أسماء
 ساكنها : فإذا شاعت بينهم أسماء صخر وحجر والفارظ ودارم دل ذلك على
 أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر القرظ والمدارم ، وإذا شاع فيها أسماء أسد
 ونيلب وكلب أو كلاب مثلاً دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها .
 (٢) الحرم : المهابة والتعظيم .

فإن كان ذا شر بجانبه سرعة وإن كان ذا خير فقارنه بهتهدى
 وانشدت :

لَا تَصْبِحُ الْكَلَآنَ فِي حَالَةٍ كُمْ صَالِحٌ بِفَسَادٍ آخَرَ يَفْسُدُ
 عَدُوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ كَالْجَرْبِ يَوْضَعُ فِي الرُّمَادِ فَيَخْدُمُ
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ
 يَوْهِيَ إِلَيْهِ يَوْمَ نَصْرَانِهِ أَوْ يَجْسَانِهِ الْحَدِيثُ . وَيَقَالُ فِي الْحَكْمَةِ الْفَارِسِيَّةِ
 يَارِبَدَ بَدَرَ بُودَارَ مَارِبَدَ حَقُّ ذَاتِ بَالِكَ اللَّهُ الصَّمَدُ .
 يَارِبَدَ آرَدَ تَرَا سَوَى جَحِيمَ يَارِنِيكُو گِيرَتَابِيَ نَعِيمَ^(١)

وقيل :

إِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ
 عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسْلَ عَنْ قَرِبِهِ فَكُلْ قَرْنَ بِالْمَقَارِفِ بِقَنْدِي
 وَمِنْ هَذَا الْمَقْنِي مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ ، اخْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْرَوْهُمْ فَإِنْ الرَّجُلَ يَخْادِنُ مَنْ يَعْجِبُهُ نَحْوَهُ ، أَيْ مَنْ يَهْبِطُ
 وَطَرِيقَتِهِ (١) جاءَ فِي شَرْحِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ لِهَذَا الْكِتَابِ يَأْنَا
 لِمَعْنَى هَذَا الشِّعْرِ الْفَارِسِيِّ : يَعْنِي أَنَّ الصَّاحِبَ السَّوَءَ أَسْوَأُ مِنَ الْجَبَةِ السَّوَادِءِ
 وَأَكْثَرُهُمْ ضَرَرًا .

والسلام : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يُذْهِبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ»
 ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به ، وكان أستاذنا شيخ الإسلام
 برهان الدين صاحب المدحية رحمة الله عليه يذكر أن واحداً من كبار
 أئمة بخارى كان يجلس مجلس الدرس وكان يقوم في خلال الدرس أحياناً
 فالله عن ذلك فقال : إن ابن أستاذى يلعب مع الصبيان في السكة وينجع
 أحياناً إلى باب المسجد فإذا رأيته أقوم له تنظيمها لاستاذى ، وكان القاضى
 الإمام شفر الدين الأرسانى رئيس الأئمة في مرو ، وكان السلطان
 يحترمه غالباً لاحترامه ، ويقول : إنما وجدت في هذا المنصب بخدمة الاستاذ
 فإني كنت أخدم الاستاذ القاضى الإمام أبي يزيد الدبوسى ، وكنت أخدمه
 وأطهُ طعامه ثلاثين سنة ولا أكل منه شيئاً . وكان الشيخ الإمام الأجل
 شمس الأئمة الخلوانى رحمة الله قد خرج من بخارى وسكن في بعض القرى
 أيام الحادى وقعت له ، وقد زاره تلاميذه غير الشيخ الإمام القاضى شمس
 الأئمة الزرنجى رحمة الله تعالى ، فقال له حين لقيه : لم تزرنى ؟ فقال له :

رأيت أحق الحق حق المعلم وأوجه حفظاً على كل مسلم
 لقد حق أن يهدى إليه كرامة لتعليم حرف واحد ألف درهم
 فإن من عليك حرفاً مما تحتاج إليه في الدين فهو أبوك في الدين . وكان
 أستاذنا الشيخ الإمام سيد الدين الشيرازى رحمة الله تعالى يقول : قال
 مشايخنا رحمة الله : من أراد أن يكون ابنه عالماً فيبني أن يرعاى
 الغرباء من الفقهاء ويكرمههم ويطعمهم ويعظمهم شيئاً ، فإن
 لم يكن ابنه عالماً كان حفيده عالماً . ومن توقير المعلم لا يمشي أمامه ،
 ولا يجلس مكانه ، ولا يتدنى بالكلام عنده إلا ياذنه ، ولا يُذكر الكلام
 عنده إلا ياذنه ، ولا يسأل شيئاً عند ملائكة (١) ، ويراعى الوقت ولا يدق
 الباب بل يصبر حتى يخرج

وفي الجملة يطلب رضاه ، ويكتسب سخطه ، ويتمثل أمره في غير معصية
 الله تعالى ، فإنه لاطاعة لخالق في معصية الخالق كما قال النبي عليه الصلاة

(١) الملائكة : الضجر والسام . ويراعى الوقت : أي لا يفعل شيئاً إلا في الوقت
 المناسب له .

كُنْتُ مُشغُولاً بِخُدْمَةِ الْوَالِدَةِ، فَقَالَ تُرْزَقُ الْعُمَرَ، وَلَا تُرْزَقُ دُوْنَقَ الدَّرْسِ،
وَكَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوقَاتِهِ الْقَرَى وَلَمْ يَنْتَهِمْ لِهِ الدَّرْسُ.
فَنَّ تَدَّى مِنْهُ أَسْتَاذُهُ يَحْرُمُ بِرَحْمَةِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا
إِنَّ الْمُعَمَّلَ وَالْطَّبِيبَ كَلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا مُبْكِرُمَا
فَأَصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيهِ وَاقْتَعِ بِعَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعْلِمَا
وَحُكِيَ أَنَّ الْخِلِفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ أَبْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِي لِيُعْلِمَ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ، فَرَأَهُ يَوْمًا يَتْرُضُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ وَابْنُ الْخِلِفَةَ يَصْبِبُ الْمَاءَ
عَلَى رِجْلِهِ، فَعَابَ الْأَصْمَعِي فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا بَعَثْتَ إِلَيْكَ لِتُعْلِمَهُ وَتُؤْدِيهِ
فَلَمَّا ذَانَ مَأْمُرَهُ بِأَنْ يَصْبِبَ الْمَاءَ يَأْخُذُ بِهِ وَيَغْسِلُ بِالْأَخْرَى رِجْلَكَ؟
وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمَعْلَمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ، فَيَبْنِي طَالِبُ الْعِلْمِ إِلَّا يَأْخُذُ
الْكِتَابَ إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ

وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَئْمَةِ الْحَلَوَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا

كُلُّ هَذَا الْعِلْمَ بِالْتَّعْظِيمِ، فَإِنْ مَا أَخْذَتُ الْكَاغِدَ^(١) إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ، وَالشَّيْخُ
الْإِمَامُ شَمْسُ الْأَئْمَةِ الرَّرْخِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ مَبْطُونًا^(٢) وَكَانَ
يُكَرِّرُ^(٣) فِي لَيْلَةِ قُوْحَنَّا فِي نَكَالِبَةِ سِعْ عَشْرَةِ مَرَّةٍ، لَا هُنَّ كَانُوا لَا يُبَكِّرُونَ
إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ وَهَذَا لَا يَنْعَلِمُ الْعِلْمُ نُورٌ، وَالْوَضُوءُ نُورٌ، فَيَزِدُّ نُورُ الْعِلْمِ بِهِ.
وَمِنْ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ إِلَيْهِ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ، وَيَضْعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ
فَوْقَ سَاتِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا، وَلَا يَضْعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ، وَكَانَ
أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَشْكُو عَنْ شَيْخِ مِنَ
الْمَقَائِيمِ أَنَّ فَقِيهًا كَانَ وَضَعَ التَّحْبِرَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ: «بِرْنِيَابِي^(٤)» وَكَانَ أَسْتَاذُنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجْلَى نَفْرُ الْإِسْلَامِ الْمُعْرُوفُ
بِقَاضِيَخَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: إِنْ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ الْأَسْتِخْفَافَ فَلَا يَأْسَ

(١) الْكَاغِد بِفتحِ النِّينِ: الْقَرْمَاس

(٢) الْمَبْطُونُ مِنْ يَشْكُو بِطْنَهُ (٣) يَرِيدُ مِنْهَا كُرْبَةَ الْعِلْمِ

(٤) فِي شَرْحِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلْمَةِ: لَا يَنْجُدُ الْفَعْلَمَ مِنْ عَلَكَ.

بِهِ، وَالْأَوَّلَ أَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْهُ، وَمِنَ النَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ أَنْ يُجْعَدَ كِتَابَهُ
الْكِتَابُ، وَلَا يُقْرَبُطُ^(١)، وَيَرُكَ الْحَاشِيَةَ إِلَّا عِنْدَ الْفُرْوَةِ. وَرَأَى
أَبُو حَيْفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَاتِبًا يُقْرَبُطُ فِي الْكِتَابَةِ. فَقَالَ: لَمْ يُقْرَبُطْ خَطْلَكَ
إِنْ عَشْتَ تَنْدَمْ، وَإِنْ مَتْ تُشَتِّمْ. يَعْنِي إِذَا شُخِّتْ وَضَعَفَ بَصَرُكَ تَنْدَمْتَ
عَلَى ذَلِكَ.

وَحُكِيَ عَنِ الشِّيْخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الدِّينِ الصَّرْحَكِيِّ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: مَا قَرَبَتْنَا
إِلَيْنَا، وَمَا اتَّخَذْنَا إِلَيْنَا، وَمَا لَمْ نَقْبَلْ إِلَيْنَا^(٣) وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
تَقْطِيعُ الْكِتَابِ مَرْبِعًا فَإِنَّهُ تَقْطِيعُ أَبِي حَيْفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ وَهُوَ أَيْسَرُ إِلَى الرُّفِيعِ
وَالْوَضِيعِ وَالْمُطَالَعَةِ، وَيَنْبَغِي أَلَا يَكُونَ فِي الْكِتَابِ شَيْءٌ مِنَ الْمُحْرَةِ فَإِنْهَا

صَنْبَعُ الْفَلَاسَفَةِ لِأَصْنَعِ الْسَّلَفِ: وَمِنْ مَشَائِخِنَا مِنْ كُرَّهِ اسْتِهْمَالِ
الْمُرْكَبِ^(١) الْأَخْمَرِ. وَمِنَ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الشَّرِكَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالدُّرْسِ
وَمِنْ يَتَعْلَمُ مِنْهُ. وَالْتَّلْقِي^(٢) مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَلِّقَ
لِأَسْتَاذِهِ وَشَرِكَاتِهِ لِيُسْتَغْدِمُهُمْ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَعِمِ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ
بِالْتَّعْظِيمِ وَالْحِرْمَةِ، وَإِنْ سَعَ مُلْسَنَةُ الْوَاحِدَةِ أَوْ الْكَلْمَةُ الْوَاحِدَةُ الْفَرْمَةُ
قِيلَ مِنْ لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمُهُ بَعْدَ الْفَرْمَةِ كَتَعْظِيمِهِ فِي أَوَّلِ فَرْمَةِ، فَلَيْسَ يَأْهُلُ
لِلْعِلْمِ وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ الْأَيْخَتَارُ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ بَلْ بِفُوْضِ أَمْرِهِ إِلَى الْأَسْتَاذِ
فَإِنَّ الْأَسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لِهِ التَّعَجَّابُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ أَعْرَفُ بِمَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ
وَمَا يَلِيقُ بِطَاعِيْتِهِ. وَكَانَ الشِّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلَ الْأَسْتَاذُ بِرْهَانُ الدِّينِ يَقُولُ
كَانَ طَلَبُهُ الْعِلْمُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَفْوَضُونَ أُمُورَهُمْ فِي التَّعْلِمِ إِلَى أَسْتَاذِهِمْ،
فَكَانُوا يَصْلُونَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ وَمَرَادِهِمْ؛ وَالآنَ يَخْتَارُونَ بِأَنفُسِهِمْ فَلَا يَحْصُلُ

(١) الْمَرْكَبُ: الْمَدَادُ

(٢) التَّلْقِيُّ: التَّرْدُدُ وَالتَّلْطِيفُ. وَالْفَلَقُ الْمَذْمُومُ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ الْمُصْطَبُ اسْتِجْلَابًا
لِفَانِدَةِ مَادِيَّةٍ لِأَنَّهُ حِينَذُ يَدُلُّ عَلَى الْفَضْفُ وَالْمَهَا وَالصَّغَارِ.

(١) يُقْرَبُطُ: يَدْفَقُ الْكِتَابَةَ وَيَصْغِرُهَا

(٢) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: الشِّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بَشَّارُ الدِّينِ الصَّرْحَكِيُّ

(٣) مَا اتَّخَذْنَا: لَحْصَنَا، أَيْ مَا تَرَكَنَا شَيْئًا إِلَّا احْتَجَنَا إِلَى مَا تَرَكَنَا وَوَدَدَنَا
لَوْ كَانَ مَامِنَا مَفْصِلًا مَوْسِعًا فِيهِ. وَمَا لَمْ نَقْبَلْ: أَيْ مَا فَرَطْنَا فِي الْمَرَاجِعَةِ وَمَقَابِلَةِ
النَّسْخَةِ الْمُكْتَبَةِ حَدِيثًا عَلَى الْأُخْرَى الْمُصْحَّةِ إِلَّا نَدَمَنَا لِمُثْوِرَنَا عَلَى أَخْطَاءِ
وَأَغْلَاطِ فِي النَّسْخَةِ الْحَدِيثَةِ.

العلم حرب للفي المتعال كالليل حرب للنّكأن العالى
وقيل :

بِحَمْدِي لَا يَحْمِدُ كُلُّ مَجْدٍ فَهَلْ جَدْ بِلَاجْدِ بِحَمْدِي (١)
فَكُمْ عَبْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حِرْ وَكُمْ حِرٌّ يَقُومُ مَقَامَ عِبْدٍ (٢)

(فصل في الجد والمواظبة والهمة)

نَمْ لَا بُدْ مِنَ الْجَدِ وَالْمُواظَبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِي
الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيَّا لِنَهْدِيْنَاهُمْ سُبْلًا» وَقَوْلِهِ تَعَالَى
«يَا أَيُّهُ الْكَٰتَبُ بِقُوَّةٍ» وَقَدْ قِيلَ : مِنْ طَلَبِ شَيْءٍ وَجَدْ وَجَدْ ، وَمِنْ

(١) بِحَمْدِي بَكْرِ الْجَمِيْمُ : أَيْ بَلْغَتِ الْمَلَابِاجْهَادِي وَنَسَاطِي أَنَاْعَصَمِي . لَا يَجِدْ
كُلُّ مَجْدٍ : أَيْ لَمْ أَصْلِ إِلَى غَرْضِي بِسَعِيْغِي وَاجْهَادِسَوَى قَلَمَتْ عَظَابَانِهِل
جَدْ بِفَتْحِ الْجَمِيْمِ : حَظْ وَبَحْتُ ، أَيْ أَنَّ الْحَظْ وَالْبَحْتُ لَا يَفِدُ شَيْئًا إِذَا لَمْ يَكُنْ
هُنَاكُ جَدْ وَاجْهَادُ ، وَفِرْضُ السَّعَادَةِ وَالْمَجْدِ تَسْعَ لِكُلِّ النَّاسِ أَوْ لَا كُنْهُمْ وَلَكِنْ
قَلْ مِنْهُمْ مِنْ يَنْتَهِيْمَا ، فَهُنَى كَالْطَّاهِرِ يَحْلُقُ فَوْقَ الرُّؤْسِ فَالْبَقِظُ الشَّيْطِيْنُ يَنْبِئُ إِلَيْهِ
وَيَسِّهُ ، وَالْكَسُولُ الْبَلِدِ يَقْفُ أَمَامَهُ جَامِدًا

(٢) يَعْنِي أَنَّ الْجَدِ وَالْعَمَلِ يُرْفَعُ الْعِيْدُ الْأَذْلَاءِ إِلَى مَقَامِ السَّادَةِ الْأَجْهَادِ وَالْكَلِيلِ
وَالْخَلُولِ يَحْلُطُ السَّادَةِ الْأَشْرَافَ إِلَى حُضِيْضِ الْعِيْدِ الْأَذْلَاءِ .

مَفْصُودُمِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ ، وَكَانَ يَحْكُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْتَعَاعِلَ الْبَخَارِيَ رَحْمَةُهُ
اللهُ تَعَالَى كَانَ بَدَا بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ رَحْمَةُهُ
اللهُ تَعَالَى : أَذْفَبْ وَقَلَمَ عِلْمَ الْحَدِيثِ . لِمَا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ يَقْبِلُ بِطَبْعِهِ
فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ فَهَارَ فِي مُقْتَمَاعِ جَمِيعِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ . وَبِفَنْجِي لِطَالِبِ
الْعِلْمِ الْأَيْجَلِسِ قَرِيَّاً مِنَ الْأَسْتَادِ عِنْدَ السَّبِقِ (١) بِغَيْرِ ضَرُورَةِ ، بَلْ يَفْنِي
أَنْ يَكُونَ يَدِنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْتَادِ قَدْرَ الْقَوْسِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْعَظِيمِ . وَبِفَنْجِي
لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْذَّمِيْمَةِ ، فَإِنَّهَا كَلَابٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَقَدْ
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةَ يَدِنَتَا فِيْهِ كَلْبٌ أَوْ
صُورَةٌ . وَإِنَّمَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ بِوَاسْطَةِ الْمَلَكِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْذَّمِيْمَةِ تُعْرَفُ
فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ يَاهِنَّا . وَلِيَحْتَرِزَ خُصُوصَانِ
الْكَبِيرِ قَعْ التَّكَبِيرُ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ . قِيلَ :

(١) السَّبِقُ : اسْتَعَاعُ الرَّسُولِ ، وَكَانَهُ أَخْدَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَلَّلُ فِي صُورَةِ النَّازِعَاتِ
«فَالسَّابِقَاتِ سَبِقَا» عَلَى رَأْيِي مِنْ فَرْسِهِ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنِّ كَانُوا يَنْسَابُونَ إِلَى
اسْتَعْوِي .

قرعَ البابَ وجَرَّجَ^(١) . وَقِيلَ : يَقْدِرُ مَا تَمَنَّى تَالُ مَا تَمَنَّى قِيلَ : يَحْتَاجُ
فِي التَّعْلِمِ وَالْتَّفَقْهِ إِلَى الْجِدْلَانَةِ : الْمَلْعُومُ وَالْأَسْنَادُ وَالْأَبُ إِنْ كَانَ فِي
الْأَحْجَاءِ أَشْدَقُ الشِّيْخِ الْإِمَامِ الْأَسْنَادُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

الْجِدْلُ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَائِعٍ وَالْجِدْلُ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُفْلِقٍ
وَأَحْقِقُ خَلْقَ اللَّهِ بِالْمُمْرُرِ ذُو هَمَّةٍ يَتَلَقَّ بِعِيشٍ ضَيْقٍ
وَمِنَ الدِّلِيلِ عَلَى الْفَضَاءِ وَحْكَمِهِ بُرُوسُ الْلَّيْلِ وَطَيْبُ عِيشِ الْأَنْتَقِ^(٢)
لِكِنْ مَنْ رُزِقَ الْحِجَّيِ حُرْمَ النَّبِيِّ ضِدَانٌ يَفْتَرَقُ أَيْ تَفْرِقِ

(١) لج: الحوشدد. وج: دخل

(٢) حيث كان يجب أن يكون البيت هو الذي الطيب العيش لتفوقة بعقله
وذاك أنه فنارأينا الأحق الذي هو الأكثر غنى والأطيب عيشه اعرفنا أو هناك
قوة أخرى هي التي قلب الأمور وعكست ما يقتضيه العقل والمعانق وتلك النورة
هي التي يسمى الشاعر حكم القضاء أى قضاء الله وحكمه . ولكن ما أحسن قول النبي:
ذو المقل يشق في النعيم بعقله وأخوا الجهالة في الشقاوة ينعم

وَأَشَدَّتُ لِنَبِرِهِ :

تَمَنَّيْتُ أَنْ تُمْسِي فِيهَا مَنَاظِرًا بَغَيْرِ غَيَّارِهِ وَالْجُنُونُ فَنُونُ
وَلَيْسَ اكْتَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَحْمِلُهَا ، قَالَ عِلْمٌ كَيْفَ يَكُونُ ؟^(١)

قَالَ أَبُو الطَّيْبِ :

وَمَأْرِي فِي عَيْوبِ النَّاسِ عَيْيَا كَنْفُصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْهَمَامِ^(٢)

وَلَا يَبُدُّ لِلْطَّالِبِ مِنْ سَهْرِ الْلَّيْلِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

يَقْدِرُ الْكَدْدُ تُكْتَبُ الْمَعَالِ وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَامَاءِ سَهْرَ الْلَّيْلِ
غَرُومُ الْعَزِّ نُمْ تَامُ لَيْلًا بِغَوْصِ الْبَحْرِ مِنْ طَلَبِ الْأَلَّ
عُلُوُّ الْكَعْبِ^(٣) بِالْهَمَمِ الْعَوَالِ وَعُزُّ الْمَرْءِ فِي سَهْرِ الْلَّيْلِ

(١) أى يكون اكتاب العلم بدون مشقة مع أنه اعظم شأنًا وأصعب
منالا من المال

(٢) أى أن أعظم عيوب القادرين هو تقصيرهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرون
عليه بسب الإهمال والتغريطة والكلل

(٣) يعني ارتفاع شأن

وَمَنْ رَأَمَ الْعَلَاءَ مِنْ غَيْرِ كُنْدَ أَضَاعَ الْعُفْرَ فِي طَلَبِ الْحَمَالِ
 تَرَكَ النَّوْمَ رَغْبَةً فِي الْلَّيْلِ لِأَجْلِ رِضَاكَ يَامُولَيَ الْمَوَالِ
 فَوَهَقَنِي إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَلَقَنِي إِلَى أَفْضَى الْمَتَالِ
 وَقِيلَ: اتَّخِذْ الْلَّيْلَ جُهْلًا تُدْرِكُ بِهِ أَمْلًا. قَالَ الْمُصَفُّ^(١) رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 وَقَدْ أَنْفَقَنِي نَظَمٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى:
 مَنْ شَاءَ أَنْ يَخْتَوِي آمَالَهُ جَهْلًا فَلْيَتَخْذُ لِلَّهِ فِي دُرْكِهِ جَهْلًا
 أَفْلَلَ طَعَامَكَ كَيْ تَخْتَلِي بِهِ نَمَرًا إِنْ شَتَّتْ يَاصَاحِي أَنْ تَلْعَنِ الْكَلَّا^(٢)
 وَقِيلَ: مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ فَقَدْ فَرَحَ قَلْبَهُ بِالنَّهَارِ وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ
 الْعِلْمِ مِنَ الْمُوَاطَبَةِ عَلَى الدِّرَسِ وَالْتَّكَرَارِ فِي أُولَيِ الْبَلِ وَآخِرِهِ فَإِنْ مَا يَبْيَنَ
 الْعِشَاءِ وَرَفِتِ السَّحْرُ وَقَتْ مَبَارِكٌ. قِيلَ فِي الْمَعْنَى شِعْرًا:
 يَاطَالِبُ الْعِلْمِ يَا شَرِ الْوَرَعَا وَجَنِبِ النَّزُومَ وَاتْرُكِ الشَّبَّاعَ

دَأْوَمَ عَلَى الدِّرَسِ لَا تُفَارِقُهُ فَالْعِلْمُ بِالدِّرَسِ قَامَ وَأَرْتَفَعَ
 فَيَغْتَمِمُ أَيَّامُ الْحَدَّادَةِ وَعَنْفُوانٌ^(١) الشَّبَابُ كَمَا قِيلَ:
 قَدْرُ الْكَدْ تُعَلَّمُ مَاتُرُومُ قَنْ رَأَمَ الْمُنْتَي لِلَّا يَقُومُ
 وَأَيَّامُ الْحَدَّادَةِ فَأَغْتَمَهَا إِلَّا إِنَّ الْحَدَّادَةَ لَا تَدُومُ
 وَلَا يَجْهَدُ نَفْسَهُ جَهْدًا، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بِلِ
 يَتَعَمَّلُ الرَّفِقُ فِي ذَلِكَ، وَالرَّفِقُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. قَالَ عَلَيْهِ
 الْصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِلَّا إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغْلُوا^(٢) فِي بِرِيقٍ،
 وَلَا تُبْخِضُ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُنْبَتَ^(٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ
 وَلَا ظَهَرَ أَبْيَقَ. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَفْسُكَ مَطْبُكُ فَارِقُهَا. وَلَا بُدُّ
 لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُهْمَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْمُرْتَه يَطْبِرُ بِهِنَّهِ كَالْطَّيْرِ،
 يَطْبِرُ بِعَنَاحِيَةِ.

(١) عنفوان الشَّباب: قوته وحده (٢) أوْغْلُوا: اذهروا فيه ونسمعوا

(٣) تُبْخِضُ عَلَى نَفْسِكَ: تُقْلِلُ وَتُنْصَبُ

(٤) الْمُنْبَتَ: المُنْقَطِعُ عَنِ السَّفَرِ لِإِجْهَادِهِ مَطْبَهُ حَتَّى خَفَقَ.

(١) يَرِيدُ نَفْسَهُ

(٢) الْكَلَ بفتح الْكَافِ وَالْمِيمِ: الْكَاملُ، وَيَرِيدُ بِهِ الْكَلَ.

قال أبو الطيب :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الدِّرْزِ تَأْلِيَ الْعَرَامِ وَتَأْلِيَ عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظِمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا وَتَصَفَّرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ النَّظَامُ^(١)
وَالرَّاسُ^(٢) فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجَدُّ وَالْمُهَمَّةُ الْعَالِيَّةُ، فَنَّ كَانَتْ هَمَّةٌ حَفْظَ
جَمِيعِ كُتُبِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَاقْتَرَنَ بِذَلِكِ الْجَدُّ وَالْمُوَاظَبَةُ،
فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نِصْفَهَا. فَإِنَّمَا إِذَا كَانَتْ لَهُ مُهَمَّةٌ عَالِيَّةٌ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ جَدٌ، أَوْ كَانَ لَهُ جَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُهَمَّةٌ عَالِيَّةٌ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا
الْقَلِيلُ. وَذَكَرَ الشِّيْخُ الْأَجْلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيُّ الدِّينِ التِّيسَابُورِيُّ رَحْمَةُ
اللَّهِ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَلِكَ الْقَرْتَنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لِيَسْتَوِيَ

(١) العرام: جمع عزيمته الإرادة والتصميم . والمعنى أن العرام والكارم
تُكَرَّن بحسب أقدار فاعليها؛ فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة كانت هي عظيمة
أقدارها إذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم ومركزيتهم صغيرة أيضاً لأن
ضيق المهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة . أسماء المهمة ،
كبير النفس ، فإنه يرى الأمور صغيرة وصغارها سهلة هينة
(٢) الرأس في تحصيل الأشياء: يعني الأصل والأساس .

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَأْوَرَ الْخَلَكَاءِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: كَيْفَ، أَسَافِرُ لِمَذَا
الْقَدْرُ مِنَ الْمُلْكِ إِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ فَانِي وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْ حَقِيرٌ، فَلَبَسَهُ هَذَا
مِنْ عُلُوِّ الْمُهَمَّةِ . قَالَ الْخَلَكَاءُ: سَافِرْ لِيَحْصُلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
قَالَ: هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُحِبُّ مَعْالِي الْأَمْرِ وَيَسْكُرُهُ سَفَانَهَا^(١) . وَقَيْلَ:
فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْ فَإِنَّمَا عَصَاكَ كَمْ تَدِيمْ^(٢)
قَالَ أَبُو حَيْنَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى: كُنْتَ بِأَيْدِيَ فَأَخْرَجْتَكَ
الْمُوَاظَبَةَ، وَإِلَيْكَ وَالْكُلَّ فِيْهِ شُوْمٌ وَآفَةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشِّيْخُ الْإِمَامُ
أَبُونَصَرِ الصَّفَارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

بِأَنْفُسِ يَا نَفْسَ لَا تُرْجِعِي عَنِ الْعَمَلِ فِي الْبُرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلِ
لَكُلِّ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُغْتَسِطٌ وَفِي بَلَاءِ وَشُوْمٍ كُلِّ ذِي كَلِيلٍ

(١) السفاف: الرديء الحقير

(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْ لِبَنَا بِالنَّارِ لِيُسَلِّمَ تَفَوِّيْهَا: وَالْمَعْنَى أَنَّ خَيْرَ وَسَالِمَ تَفَوِّيْمِ
الْمَوْجَ وَاصْلَاحَ الْفَاسِدِ، الْاسْتَدَامَةَ وَالْاسْتِرَادَ .

أَبْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَارِ فِيَا لَتَّا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
 فَيَنَّ الْمَالِ يَقْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَقْنَى لَا يَزَالُ
 وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْصُلُ بِهِ حُسْنُ الدُّرُّ وَيَقْنَى ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاهُ ، فَإِنَّهُ حَيَا
 أَبْدِيَةً . اشْدَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ ظَهِيرُ الدِّينِ مُقْنِي الْأَمْمَةِ حَسْنُ بْنُ عَلِيٍّ
 الْمَعْرُوفُ بِالْمَرْغِيْبَانِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الْجَاهِلُونَ قَوْقَى قَبْلِ مَوْتِهِمْ وَالْعَالَمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاهُمْ^(١)

وَانْشَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِرْهَانُ الدِّينِ :

وَفِي الْجَهَلِ قَبْلِ الْمَوْتِ مَوْتٌ لَأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
 وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيْتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِينَ النُّثُورِ نُثُورٌ^(٢)

(١) مَوْتٌ : جَمْعُ مَيْتٍ ، وَالْفَاءُ عَلَى تَقْدِيرِ أَمْا فِي الْكَلَامِ : أَيْ أَمَا الْجَاهِلُونَ
 فَهُمْ مَوْتٌ .

(٢) النُّثُورُ : الْبَعْثُ ، يَقَالُ : يَوْمُ النُّثُورِ أَيْ يَوْمُ الْبَعْثِ .

قَالَ الْمُصَفَّ وَقَدْ أَفْقَلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

دَعَى قَى التَّكَالُّ وَالْتَّوَانِ وَإِلَّا فَأَنْتُكَ فِي ذَلِكَ^(١) الْمُوَانَ
 فَلَمَّا أَرَى لِكَلَّا الْحَظَ يُعْطِي سِوَى نَمَّ وَحِرْمَانَ الْأَمَانِ
 وَقِيلَ :

كُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَكُمْ بَعْزٍ وَكُمْ نَدِيمٍ جِمْ تَوَلَّدُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَلِّ^(٢)

إِيَّاكَ عَنْ كَلِّ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ فَأَعْلَمَ ، وَمَاقَدْ شَذَّ عَنْكَ سَلِ^(٣)

وَقَدْ قِيلَ : الْكَلِّ مِنْ قَلَّةِ التَّأْمِلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلِّتَّعْلِمِ
 أَنْ يَعْثَثْ فِيْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاظَبَةِ بِالْتَّأْمِلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ،
 فَيَنَّ الْعِلْمَ يَقْنَى بِيَقَاءِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَالِ يَقْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

(١) ذَا الْمُوَانَ : أَيْ هَذَا الْمُوَانَ

(٢) الْمَرَادُ بِالْحَيَاةِ هُنَّ الْجَاهِلُ ، يَعْنِي أَنَّ الْكُلَّ كَثِيرًا مَا يُحِلُّ لِلْإِنْسَانِ بِسِيَهِ
 وَوَقَفَ عَاجِزاً نَادِيًّا

(٣) إِيَّاكَ عَنْ كَلِّ : ابْتَدَأْ عَنْ الْكَلِّ ، شَذَّ عَنْكَ : بَعْدَ عَنْكَ وَصَعْبَ عَلَيْكَ
 أَنْ لَا تَوَانَ وَلَا تَنْرَطِ فِي الْبَحْثِ وَالْتَّقْبِ حَتَّى تَثْرُ عَلَى مَا يُرِيدُ مَا عَنْكَ مِنْ شَيْءٍ
 وَشَكُوكَ ، فَالَّذِي اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْلَمَ بِنَفْسِكَ اكْتَفَيْتَ بِهِ ، وَالَّذِي صَعْبَ عَلَيْكَ
 الْامْتِدَادُ إِلَى الصَّرَابِ فِيْهِ فَتَسَاءَلَ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ .

فَهَمَّاتَ لَا يَرْجُو مَدَاءً مِنْ أَرْتَهِ رُقٌّ وَلِيُّ الْمُلْكِ وَالِّكَنَّابِ (١)
 سَأَلَى عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَأَسْعَمُوا فِي حَسْرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَابِ (٢)
 هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعُمَّ وَذُو الْجَهْلِ مِنَ الدَّهْرِيْنِ الْغَيَّابِ (٣)
 هُوَ النَّرْوَةُ الشَّاهِدُ تَحْمِي مِنِ التَّجَاهِ إِلَيْهَا وَيَتَسْعِي آمِنًا فِي التَّوَابِ (٤)
 يَهْدِي يَتَسْعِي وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ الرَّأْبِ (٥)
 يَهْدِي يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحَ عَاصِيًا إِلَى دَرَكِ النَّيَّارِ شَرِّ الْعَوَاقِ (٦)

(١) مَدَاءٌ: غَابَهُ، وَالِّكَنَّابُ: حَاكِمٌ، الْكَنَّابُ: جُمْعُ كَنَّبَةٍ وَهِيَ الْقَرْفَةُ الْمُظْبَّةُ مِنَ الْجَنُودِ يَعْنِي أَنَّ الْمُلُوكَ وَالسُّلَطَانِينَ أَصْحَابَ الْجَنُودِ الْمُدَبِّدَةِ وَالْجَيُوشِ الْكَبِيرَةِ لَا يَلْفَوْنَ مِنَ الْعَزِّ وَالْمَجْدِ مُبْلِغُ الْعُلَمَاءِ وَالْحَكَامِ.

(٢) حَسْرٌ: فَتْحُ الْحَاءِ وَالْصَّادِ: بِعْزُورٍ عِيْ. الْمَنَابُ: جَمْعُ مَنَبَّةٍ: الْمَفْخُرَةُ وَالْفَضْلَةُ

(٣) مِنَ الدَّهْرِ: مَدِيَ الدَّهْرِ، الْغَيَّابُ: جَمْعُ غَيْبٍ: الظَّلَامُ الشَّدِيدُ

(٤) النَّرْوَةُ: ذُرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ فَذُرْوَةُ الْجَبَلِ قَنَهُ، وَالشَّاهِدُ: الْمَرْفَعَةُ الْعَالِيَةُ، أَيْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ الْمَهَالِكَ، وَيَحْمِلُهُ مِنَ الْمَعَابِ كَمَا تَحْمِي النَّرْوَةُ الْعَالِيَةُ مِنِ التَّجَاهِ إِلَيْهَا وَيَتَجَهُ مِنْ اعْتَصَمَ بِهَا (٥) يَنْتَجِي: يَطْلُبُ النَّجَاهَ، الرَّأْبُ: عَظَامُ الصَّدْرِ، يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ يَنْجِي مِنَ الْضَّلَالِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ وَيَرْجُو الْمَرْءُ حِينَ تَحْضُرُهُ الْوَفَاءُ أَنْ يَقْفَرَ أَهْلُهُ ذُنُوبَهُ

(٦) يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحَ عَاصِيًا: أَيْ يَصْبِمُ الْعَالَمَ بِعَصْبَنَتِهِ إِلَى حَسَنَاتِ

وَقَالَ غَيْرُهُ : أَخْوَالِهِ حَيْ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالَهُ تَحْتَ التَّرَابِ رَمِيمٌ (١)
 وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى التَّرَى يُغْلَنُ مِنَ الْأَحَيَامِ وَهُوَ عَدِيمٌ (٢)

وَقَالَ آخَرُ : حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَأَغْتَمَهُ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهَلٌ فَأَجْتَبَهُ وَأَنْتَدَنَا الشِّيخُ الْأَسْتَاذُ شِيخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ :

ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتبَةً فِي الْمَرَابِ وَمَنْ دُونَهُ عَزَّ الْعِلْمُ فِي الْمَرَابِ (٣)
 فَذُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزَّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّيَارَبِ (٤)

(١) رَمِيمٌ: بَالَّةٌ وَفَانَّةٌ

(٢) التَّرَى: التَّرَابُ النَّدِيُّ وَالْمَفْصُودُ بِهِ هَذَا الْأَرْضُ

(٣) الْمَرَابُ: جَمْعُ مَوْكِبٍ، وَهُوَ جَمَاعَةُ السَّائِرِ رَكَابًا أَوْ مَشَاءً ، وَالْمَفْصُودُ مَطْلَقُ الْجَمَاعَةِ ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْعِلْمُ مَنْزَلَهُ أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَأَشْرَفُهُ وَكُلُّ الْمَعَالِي وَالرِّيَاسَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ دُرْنَهُ فِي الْشَّرْفِ وَالرَّفْعَةِ

(٤) التَّيَارَبُ: جَمْعُ تَيَارٍ وَهُوَ التَّرَابُ ، يَعْنِي أَنَّ الْمَتَلَعِمَ لَا يَزُولُ عِزَّهُ وَمَجْدُه بَعْدَ وَفَانَّهُ بَلْ يَبْقَى كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ ، وَقَدْ يَتَضَاعِفُ بِمَا بَنَاهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ سَعَادَةٍ وَفَيْمٍ . أَمَّا الْجَاهِلُ فَإِنَّ عِزَّهُ يَزُولُ بَعْدَ دُفْنِهِ تَحْتَ التَّرَابِ .

وأشدَّتُ أيضًا :

الْفَقِهُ أَنْفُسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَائِرُهُ
مِنْ يَدِرِّسِ الْعِلْمِ لَمْ تُدْرِسْ مَفَاقِرَهُ^(١)
فَأَنْكِبْ لِنَفْكِ مَا أَصْبَحَتْ بِجَهَلِهِ فَأَوْلُ الْعِلْمِ إِبْرَاهِيمَ وَآخِرُهُ
وَكَنِيْ بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقِهِ دَاعِيًّا وَبَاعِيًّا لِلْعَالَمِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَقَدْ يَوْمَدِ
الْكُلُّ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقَ تَقْيِيلِهِ تَقْيِيلُ الْطَّعَامِ . قِيلَ :
أَنْقَقْ سَبْعُونَ نِيَّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ أَكْثَرَ النَّسَبَانِ مِنْ كَثْرَةِ
الْبَلْغِ وَكَثْرَةِ الْبَلْغِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ
الْأَكْلِ ، وَالْحِبْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَ ؟ وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّيْبِ عَلَى الرِّيقِ ،
وَلَا يُكْثَرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيُزِيدُ الْبَلْغَ ، وَالسَّوَالُ يَقْلِلُ
الْبَلْغَ وَيُزِيدُ فِي الْحَفْظِ وَالْفَصَاحَةِ ، فَإِنْ سَنَةُ سَيْنَةٍ وَيُزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ؟ وَكَذَلِكَ الْقِيَءُ يَقْلِلُ الْبَلْغَ وَالرُّطُوبَاتِ ، وَطَرِيقَ تَقْيِيلِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقاً . وداخره: أى مدخله ومقصده، من يدرس العلم أى يقرأه، ولم يدرس مفاخره أى لم تتح أسباب شفهه ودواعي مجده .

فَنْ رَأَمَ رَأْمَ الْمَأْرِبَ كُلُّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلُّ الْمَطَالِبِ^(١)
هُوَ الْمَنْصُبُ الْعَالِي فِي أَصَاحِبِ الْحِجَاجِ إِذَا نَلَهُ هُونَ يَفْوَتُ الْمَنَاصِبِ^(٢)
فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطَيْبُ فَعِيهَا فَنَعْصُرُ فِي أَنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَابِ
وَأَنْشَدْتُ لِيَعْضِيمْ :

فَلِمْ الْفَقِهِ أَوْلَى بِاعْتِزَازِ
فَكَمْ طَيْبٌ يَفْوَحُ وَلَا كَبَازِ^(٣)

من مات عاماً ، فترجع حسنته على سباثاته فبغفر له ألقه ويعفو عنه . والدُّرُك جمع
دركة وهي المزلة . وهي في المبوط تقابل الدرجة في الصمود . والعواقب جمع
عاقبة وهي النهاية . وشر بالجز صفة للنهران .

(١) رأمه: طلبه ، والمارب جمع مأرب: الفرض والمطلب .

(٢) المنصب بفتح الميم والصاد: المقام . الحجاج: المقل ، هون: يفوت المناصب :
اعبر فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمر أهينا لا يوبده ولا يهتم به
(٣) يفوح: ينتشر . والبيت يتضمن مثلين ساترين يضرب كل منهما ليان
فضل الشيء وغيره أفضل منه: فكم طيب يفوح ولا كباز أى ان الطيب الذي
تنتشر رائحته وتغطى الجو كثيراً ولكن في طيب رائحته وجمال شذائليس كالملك
لأن الملك أطيب منه وأذكي ، وكذلك وكم طيب يطير ولا كبازى: معناه أن
البازى أقوى الطيور كلها وأشدتها طيراناً .

وَقَلِيلُ السَّمْكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرَّمَانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِنْتَلَافُ الْمَالِ ، وَالْأَكْلُ فَوْقَ الشَّيْءِ ضَرْرٌ مُحْضٌ ، وَيُسْتَحْقِقُ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأُكُولُ بِغَيْضٍ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ الْأَكْلِ أَنْ يَاكُلَ الْأَطْعَمَةَ الْمُسْتَسْمِةَ ، وَيُقْدِمَ فِي الْأَكْلِ الْأَلَفَ وَالْأَشْهَى؛ وَلَا يَاكُلَ مَعَ الْجِيَاعِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، بَأْنَ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَعْمَالِ الشَّافِةِ فَلَهُ ذَلِكَ

﴿فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه﴾

كَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ بِرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ^(١) بِدَهَاءِ السُّبُقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرْوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِئَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا وَقَدْ تَمَّ ، وَهَكُذا كَانَ يَقُولُ أَبُو حَيْفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرْوِي هَذَا

(١) يَقُولُ: يَحْصُرُ وَيَقْصُرُ .

الْأَكْلُ التَّأْمِلُ فِي مَنَافِعِ فَلَةِ الْأَكْلِ ، وَهِيَ الصَّحَّةُ وَالْفِقْهُ وَالْإِيَّارُ^(٢) وَقَدْ قِيلَ:

فَسَارُ تَمْ عَارُ تَمْ عَارُ شَقَاءُ الْمَرْهَةِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ^(٣) وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَاتَّهُ نَفَرَ يَغْضُبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ جُرمٍ^(٤): الْأُكُولُ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ وَالْتَّأْمِلُ^(٥) فِي مَضَارٍ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَلَّةُ الطَّبِيعِ . قِيلَ: الْبَطْنَةُ تَذَهَّبُ الْفَطْنَةَ^(٦) (حَكَى) عَنْ جَالِينُوسَ أَنَّهُ قَالَ: الرَّمَانُ فَعُجْ كُلُّهُ ، وَالسَّمْكُ ضَرُرُ كُلُّهُ ،

(١) الإيّار: هو اختيار منفعة الغير ومصلحته عند تعارضها مع منفعة النفس ومصلحتها، كإذا كان اثنان في حالة عطش ومع أحدهما ما يكفيه وحده من الماء فيقدمه لرفيقه ويحرم منه نفسه

(٢) أى أن الطعام وحده لا يتحقق أن يشقي الإنسان نفسه من أجله لأن القليل منه يكفي، والذى يستحق أن يشقي الإنسان نفسه من أجله إنما هو العلم لأنّه السبيل الوجيد إلى المجد والشرف

(٣) جرم: إنّم وذنب

(٤) والتَّأْمِلُ بالرُّفْعِ لِأَنَّهُ مُعْطَوْفٌ عَلَى التَّأْمِلِ فِي مَنَافِعِ فَلَةِ الْأَكْلِ

(٥) الْبَطْنَةُ بَكْرُ الْبَاءِ: امْتِلَاءُ الْبَطْنَ بِالْأَكْلِ ، وَالْفَطْنَةُ بَكْرُ الْفَاءِ: الذِكْرُ وَالْيَقْنَطُ .

فِي الْأَتَاهَاءِ إِيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لَأَنَّهُ يَعْتَدُ ذَلِكَ . وَلَا يَرْكُنْكَ العَادَةُ إِلَّا
يَجْهَدُ كَثِيرًا ، وَقَدْ قِيلَ : السُّبْقُ حَرْفُ وَالثَّكَرَارُ الْأَفُ (١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْتَدَئَ
بَشَّيْهٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشِّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ
الْعَقِيلُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَافَعَلَهُ مَا شَاءَتْنَا
رَحْمَهُمْ أَفَهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبَيْنِ صَغَارَاتُ الْمُبْسُوطِ (٢) ، لَأَنَّهُ أَقْرَبُ
إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَلَةِ وَأَكْثَرُ وَقْعَاهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يُعْلَمَ السُّبْقُ بَعْدَ الضَّبْطِ (٣) وَالْإِعَادَةُ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جَدًا ، وَلَا يَكُنْ
الْمُتَلَمِّثُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ كَلَّةَ الْطَّبِيعِ ، وَيَذْهَبُ الْفَطْنَةُ وَيَضِيقُ
أُوْقَانُهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْهَدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأَسْتَاذِ ، أَوْ بِالْتَّأْمِلِ وَالثَّكَرَرِ وَكَثِيرَةِ

يُزِيدُ عَلَى أَنْ يَعْدِي الْيَانِ وَالشَّرْحَ مِرْتَبَيْنِ فِي الْمُوْضِعِ الْوَاحِدِ ، أَمَا إِذَا زَادَ عَنْ
ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْتَدُ طَوْلَ الْأَسْتَاعَةِ وَتَكَارَ الرَّشْحِ فَيُبَطِّلُ فِيهِ وَيَنْبَدِعُهُ

(١) السُّبْقُ حَرْفُ وَالثَّكَرَارُ الْأَفُ

وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : قِرَاءَةُ كِتَابٍ وَاحِدٍ مِرْتَبَيْنِ أَنْفَعُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً .

(٢) يَنْبَغِي الْكِتَابُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَضُمُ خَلَامَاتِ الْكِتَابِ الْمُطْوَلَةِ .

(٣) نُطْلِقُ السُّبْقَ : كِتَابٌ خَلَامَةُ الْدِرْسِ رَهْمَةُ مَيْسِيِّ الْآنَ « بِالْمَنْحُصِ الْسِّبُورِيِّ »

الْمُحْدِثَ عَنْ أَسْتَاذِهِ الشِّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجَلِيِّ قَوَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ
رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَعَى مَنْ أَتَى بِهِ أَنْ الشِّيْخُ أَبَا يُوسُفَ الْمَعْدَانِيِّ رَحْمَهُ
اللهُ تَعَالَى كَانَ يَقْفُزُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهَذَا
لَأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خَلِقَ فِي النُّورِ ، وَهُوَ يَوْمٌ يُحِسِّنُ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ
فَيَكُونُ مُبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السُّبْقِ فِي الْأَبْدَاءِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ
عَنِ الشِّيْخِ الْقَاضِيِّ الْإِمَامِ عُمَرِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَشِّرِ الْزَّرْبِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَّهُ قَالَ : قَالَ مَا شَاءَتْنَا رَحْمَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السُّبْقِ لِلْبَيْنِ
قَدْرًا مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرْتَبَيْنِ بِالرَّفْقِ ، وَيَزِيدُ كُلُّ يَوْمٍ كُلَّهُ حَتَّى إِنَّهُ
وَإِنْ طَالَ السُّبْقُ وَكَثُرَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرْتَبَيْنِ ، وَيَزِيدُ بِالرَّفْقِ وَالْتَّدْرِيجِ
فَأَمَّا إِذَا طَالَ السُّبْقُ فِي الْأَبْدَاءِ (٢) وَأَحْتَاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشَرَ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ

(١) الْحَقُّ أَنَّ الْأَيَامَ كَلَّا تَسْتُرُ عَنِ الدِّينِ وَأَنَّ التَّفَاؤلَ أَوَ النَّشَاؤُمَ يَعْصِي
الْأَيَامَ أَوَ السَّاعَاتَ لِيَسْ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ .

(٢) فَأَمَّا إِذَا طَالَ السُّبْقُ فِي الْأَبْدَاءِ ، يَنْبَغِي أَنْ طَوْلَ الْأَسْتَاعَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ

مَعَ تَكْرَارِ مَا تَقْدِمُ مِنْهُ أَعْتَدَهُ يَهُنْ هَذَا الْمَرِيدِ
 ذَاكِرُ النَّاسَ بِالْعُلُومِ لِتَجِدَهَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولِي الْهَنِي يَعِيدُ
 إِنْ كَتَمَتِ الْعُلُومَ أُنْسِيَتِهِ لَا تَرَى غَيْرَهُ جَاهِلٌ وَبِلِيدٌ
 ثُمَّ أَجْتَمَتِ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهِيَتِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ^(١)
 وَلَا بُدُّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ وَالْمَنَاظِرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ
 يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالْتَّائِقِ وَالْتَّامِلِ، وَيَتَرَوَّزُ عَنِ الشَّفَقِ وَالنَّفَقَ، فَبَانَ
 الْمَنَاظِرَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ مُشَارِرَةً، وَالْمَشَاوِرَةِ إِنَّمَا تَكُونُ لِاستِخْرَاجِ الصَّوَابِ
 وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْتَّامِلِ وَالْتَّائِقِ وَالْإِنْصَافِ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْغَضَبِ
 وَالْغَنَبِ، فَبَانَ كَانَتْ نِتْهَى إِلَيْهِ الْزَّانُ الْخَصْمُ فَلَا يَحْلُّ الْمُنَافِلَةُ، وَإِنَّمَا أَعْلَمُ
 لِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَالْتَّمْوِيَهُ وَالْجِلَهُ فِيهَا لَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مُعْتَدِلًا
 لِأَطْالَابِ الْحَقِّ

(١) فِي هذِينِ الْبَيْنَتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ عِلْمِ عَلَا
 فَكَتَمَهُ الْجَمِيْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ مِنْ نَارٍ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا آتَيْتَهُ
 أَحَدًا عَلَا إِلَّا أَخْذَ عَلَيْهِ الْمِثَاقُ إِلَّا يَكْتَمَهُ أَحَدًا».

الْتَّكَرَارِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَلَ السُّبُقُ وَكَثُرَ التَّكَرَارُ وَالْتَّامِلُ يُدْرِكُ وَيُفْهَمُ، فَقَدْ
 قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَعَيْ وَقَرْبَيْنِ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ
 وَقَرْبَيْنِ^(٢) وَإِذَا هَلَوْنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْ مَرَّهُ اُمْرَتِينَ يَعْتَدُ ذَلِكَ، فَلَا يَفْهَمُ
 الْكَلَامَ الْيَسِيرَ، فَيَنْبَغِي أَلَا يَهَلَوْنَ فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدُ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى
 وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُجَبِّبُ مِنْ دَعَاهُ، وَلَا يُنْجِبُ مِنْ رَجَاهُ، أَشَدَّتَا الشَّيْخُ
 الْإِمَامُ الْأَجْلُ قَوَامُ الدِّينِ حَادِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّفارِ رَحْمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى إِمْلَاهُ لِلْقَاضِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجْزِرِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ :

أَخْدُمُ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُتَفَقِّدِ وَأَدْمَدُ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَيْدَرِ
 وَإِذَا مَا حَفِظَتْ شَيْئَنَا أَعْدَهُ نَمْ أَكْدَهُ عَيْنَةَ التَّأْكِيدِ
 ثُمَّ عَلَقَهُ كَمْ تَعُودُ إِلَيْهِ وَإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْيِيدِ
 وَإِذَا مَا أَمْنَتْ مِنْهُ قُرَآنًا فَأَتَدَبَّ بَعْدَهُ لَشَيْءٍ جَدِيدٍ^(٢)

(١) وَقَرْبَيْنِ مَنْتِي وَقَرْبَكَرِ الْوَاوِ: الْمُخْلِلُ الْمُقْبِلُ.

(٢) فِي بَعْضِ النَّسْخِ: السَّرْخِيِّ^(٢) فَانْتَدَبْ: سَارَعَ، أَى كَلَا تَوَقَّتْ
 مِنْ فَهْمِ شَيْءٍ، وَحَفْظَهُ وَأَمْنَتْ مِنْ فَسَيَاهَ، يَادَرِ إِلَى تَعْلِمِ غَيْرِهِ.

وكان محمد بن يحيى رحمه الله تعالى إذا توجه عليه الإشكال ولم يحضره الجواب يقول: مالزمه لازم، وانا فيه ناظر وفوق كل ذي علم عليم. وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار، لأن فيها تكراراً وزيادة قد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر. ولكن إذا كان مع منصف سليم الطبيعة، وإياك والذراوة مع منفت غير منتفع الطبيع فإن الطبيعة متبربة، والأخلاق متعددة، والجاورة مؤثرة. وفي الشعر

الذى ذكره الخليل بن احمد رحمه الله فوائد كثيرة وقد قيل:
العلم من شرطه لمن خدمه أن يجعل الناس كلهم خدمه

وينبغي لطالب العلم أن يكون متاماً في جميع الأوقات في دقائق (١)
العلوم ويعتاد ذلك، فما سأدرك الدقائق بالتأمل، ولمن أقبل: تأمل تدرك،
ولابد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً، فإن الكلام كالسم

(١) دقائق العلوم جمع دقيقة: المسألة الصغيرة.

فلا بد من تقويمه (١) بالتأمل قبل الرأي حتى يكون مصيناً، قال في أصول الفقه: هذا أصلٌ كَبِيرٌ وهو أن يكونَ كلامُ الفقيهَ المُناظرِ بالتأملِ. وقيل: رأسُ العقلِ أن يكونَ الكلامُ بالثباتِ والتأملِ . قال القائل: أوصيك في نظمِ الكلامِ بخمسةٍ إن كنتَ للمرصى الشفيفِ مطيناً لاتغافلْ سببَ الكلامِ ووقتهُ والكيفُ والمكمُ والمكانُ جميعاً (٢) ويكونُ مُستفيناً في جميع الأحوالِ والأوقاتِ من جميع الأشخاصِ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها أخذها» وقيل: خذ ماصفاً ودع ما كدر. وسنتُ الشیخ الإمام الأستاذ نفر الدين الكاشاني رحمة الله تعالى يقول: كانت جارية أبى يوسف رحمة الله امانة عند محمد رحمة الله عليه . فقال لها محمد: هل تخفظين في هنا

(١) تقويمه: تسلبيه وتصويبه نحو المدف

(٢) الكيف: أى طريقة إلقاء الكلام؛ من خفض الصوت ورفعه، ومن هدوء ولطف أو شدة وعف، والمكم: المقدار من إيجاز أو إسهاب، حسب مقتضى الحال .

من الكتب لتفقة عياله وغيره فليكتسب وليكرر ولبذا كرو لا ينسل
وليس ل الصحيح البدن والعقل عن في ترك التعلم والتفقه فإنه لا يكون أقوى
من أبي يوسف رحمة الله تعالى، ولم يعنده ذلك من التفقه فن كان له مال
كثير فنעם المال الصالح للرجل الصالح المنصرف في طريق العلم ^ه قيل
لعلم: بم أدركت العلم؟ قال: باب غني، لأنك كان يصطحب به ^(١) أهل
العلم والفضل فإنه سبب زيادة العلم لأن شكر على فضمة العقل والعلم، وهو
سبب ^(٢) الزيادة، قال أبو حنيفة رحمة الله تعالى: إما أدركت العلم بالحمد
والشكر فكلما فهمت شيئاً من العلوم ووقفت على فقه وحكمه قلت الحمد
تعالى، فزادت على، وهكذا يبني طالب العلم أن يشتغل بالشكر بالسان
والجنان والأركان والمال، ويرى الفهم والعلم وال توفيق من الله تعالى
ويطلب المداة من الله تعالى بالدعاء منه والتضرع إليه، فإنه تعالى هاد من

(١) يصطحب به أهل العلم: بيرم ويعن بهم

(٢) وهو سبب الزيادة: إما والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى: لئن
شكتم لا زيدنكم.

الوقت من أبي يوسف في الفقه شيئاً؟ قالت: لا، إلا أنه كان يكرر
ويقول سهم الدور ^(١) ساقط. لحفظ ذلك منها، وكانت المسألة مشكلة
على محمد رحمة الله تعالى، فارتفع إشكاله بهذه الكلمة فعلم أن الاستفادة
مشكلة من كل أحد، ولهذا قال أبو يوسف رحمة الله حين قيل له: بم
ادركت العلم؟ قال: ما استكشفت من الاستفادة وما يخلت بالإفادة.
قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بم أدركت العلم؟ قال: بلسان
سoul، وقلب عقول. وإنما طالب العلم: ما تقول، لكثرة ما كانوا
يقولون في الزمان الأول: ما تقول في هذه المسألة؟ وإنما تفقة
أبو حنيفة رحمة الله تعالى بكثرة المطارحة ولذا كرر في ذلك حين كان
بازاً ^(٢)، وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكتب وكان
أبو حفص الكبير رحمة الله يكتسب ويكسر. فإن كان لا بد طالب العلم

(١) سهم الدور ساقط: أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب، وهو خاص
بمسألة فقهية مشهورة في الميراث

(٢) البزار: باائع الكتب والمنسوجات.

الفقهاء من الخلواء ويقول: ادعوا لاني افبركه جوده واعتقاده وضرره
نال ابني مثال، ويشترى بالمال الكتب، ويستكتب فيكون عوناً على
العلم والفقه، وقد كان محمد بن الحسن رحمة الله تعالى مال كثير، حتى
كان له ثباته من الوكالات على ماله، فانفقه كله في العلم والفقه، ولم يبق له
ثواب نفيس، فرأى أبو يوسف رحمة الله تعالى في ثواب خلقه، فارسل
إليه ثياباً نفيسة، فلم يقبلها وقال: بعْلُ لَكُمْ وَاجْلَ لَنَا
ولعله إنما لم يقبلها وإن كان يقول المديمة سنة، لما رأى أن في ذلك
هذا لنفسه، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه»
وحيث أن الشيخ نفر الإسلام الأرسايني رحمة الله جمع قشور البطيخ
الملفقة في مكان خال فضلها وأكلها فراته جارية، فاخبرت بذلك صاحبها،
فأخذته دعوة ودعاها إليها، فلم يقبل لهذا^(١)، وهكذا ينبع لطلاب العلم
أن يكون ذاهنة عالمة لا يطمع في أموال الناس، قال رسول الله صلى الله عليه

(١) أخذته دعوة: أي أعد له طعاماً، لهذا: أى ثلا يذل نفسه.

أستهداه، فأهل الحق وهم أهل السنة والجماعة طلبوا الحق من الله تعالى،
الحق المبين المادي العاصم، فهذاهم الله تعالى وعصبهم عن الصلاة، وأهل
الصلاه أعيجوها^(١) برأيهم وعقلهم وطلبو الحق من المخلوق العاجز، وهو
العقل، لأن العقل لا يدرك جميع الأشياء، كالبصر لا يضرر جميع الأشياء
فججوها، وعجزوا وأضلوا وأضلوا، قال صلى الله عليه وآله وسلم «من عرف
نفسه عرف ربها»، فإذا عرف عجز نفسه عرف قدرة الله تعالى عز وجل،
ولا يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكّل على الله تعالى ويطلب الحق منه،
ومن يتوكّل على الله فهو حبه^(٢) ويهديه إلى صراط مسقى، ومن كان
له مال فلا يدخل، وينبغي أن يتبعه الله تعالى من البخل قال النبي عليه
الصلاه والسلام: أى داء أدوا من البخل! وكان أبو الشفاعة الإمام الأجل
يكتس الأئمه الخوارج رحمة الله تعالى فتبرأ، يبيع الخلواء، وكان يعطي

(١) أعيجو برأيهم: فرجوا به وسرروا منه.

(٢) حبه: كافيه، وهذا اقتباس من القرآن.

خاف غير الله تعالى، فإذا لم يعُص الله تعالى خوف المخلوق ورافقه حدود الشرع، فلم يخف غير الله تعالى بل خاف الله تعالى، وكذا في جانب الرجال^(١) وينبغي لطالب العلم أن يعُد ويقدر لنفسه تقديرًا في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاثة مرات والذي قبله اثنين، والذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى إلى الحفظ، وينبغي إلا يعتاد المخالفة في التكرار لأن الدرس والتكرار ينبعي أن يكونما بقعة ونشاط، ولا يجهز جهراً يجهز نفسه كيلاً يقطع عن التكرار، فغير الأمور أو سطحها

حُكِيَّ أنَّ أباً يُوسُفَ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى كَانَ يَدَاكَرَ الْفَقَهَاءَ بِقُوَّةِ وَشَاطِطٍ، وَكَانَ صَهْرَهُ عَنْهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَانِعٌ

(١) يعني إذا لم يعُص الله رجاءً مخلوق فهو في الواقع لم يرج غير الله .

عليه وسلم: إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ إِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ^(١) ولا يَتَعَلَّمُ بِمَا عَنْهُ مِنَ الْمَالِ؛ بَلْ يُنْفَقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ: وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الَّذِي مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي قَرْبِهِ»^(٢)، وَكَانُوا فِي الْزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحُرْفَةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ؛ وَفِي الْحُكْمَةِ: مَنْ أَسْتَقَى بَعْدَ النَّاسِ أَفْقَرَ، وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا لَمْ يَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ، وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ، وَهُنْدَأٌ كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الْشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يَدْنِي إِلَى طَبَيعَ»^(٣)، وَينبغي لِلْمُؤْمِنِ أَلَا يَرْجُو إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنَهُ تَعَالَى، وَيَظْهُرُ ذَلِكَ بِمُجَاوِزَةِ حَدِّ الْشَّرِيعَةِ وَعَدَمِهَا، فَنَّ عَصَى اللهُ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْمُخْلُوقِ فَقَدْ

(١) إياك و الطمع أخ: يعني أن المرء إنما يطمع خوفه من فقر متوفع والطمع فقر حاضر فهو يتجه إلى الفقر خوفاً من الفقر كالمستجير من الرمضان بالنار

(٢) الناس .. أخ: تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

(٣) الطبع بذكر الطاء وفتح الباء: الدرس والعيوب .

(فصل في التوكيل)

نَمَّ لَأَبْدُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوْكِيلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَا يَهْتَمُ لِأَمْرِ الرِّزْقِ
وَلَا يَشْغُلُ قَلْبَهُ بِذَلِكَ. رَوَى أَبُو حِينَفَةَ رَحِيمًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ
الزَّيْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَفَقَّهَ
فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هُمَّهُ وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، فَإِنَّ مَنْ أَشْتَغَلَ
قَلْبَهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوتِ وَالْكُسُوَّةِ، قَلَّا يَتَرَغَّبُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيِ الْأَمْوَارِ. قِيلَ :

دَعِ الْمَكَارِمِ لَأَرْتَحِلْ لِبُغْتَتِهَا وَأَقْدِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِيِّ^(١)
قَالَ رَجُلٌ لِنَصُورِ الْحَلَاجَ: أَوْصِنِي افْتَالَ: هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغُلْهَا
شَغْلَتْكَ. فَيَسْبَغُ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغُلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا يَشْغُلَ

(١) يُسْخِرُ الشَّاعِرُ مِنْ يَخْالِطِهُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَيُخْفِرُهُ لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَسْطِعُ
الْجَرِيِّ فِي مَجَالِ الْمَكَارِمِ وَالْمَحَامِدِ، لَأَنَّ هُنَّكَ مُحَصَّرُونَ فِي السَّمِّ وَرَاءِ الْطَّعَامِ وَالْكُسُوَّةِ
وَيَقْصُدُ الْمَصْنُفُ بِاستِهْنَادِهِ بِهَذَا الْبَيْتِ أَنْ يُؤْكِدَ مَا يَقُولُهُ مِنْ أَنَّ مَنْ أَشْتَغَلَ
قَلْبَهُ بِتَحْصِيلِ الرِّزْقِ قَلَّا يَفْكَرُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيِ الْأَمْوَارِ.

مِنْ خَسَنةِ أَيَّامٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنَاهَى بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ. وَيَسْبَغُ لَا يَكُونُ لِطَالِبِ
الْعِلْمِ قَرْبَةً^(١) فَإِنَّهَا آتٌ. وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِيمٌ
اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا قَتَّتُ شُرْكَانِي بِأَنِّي لَمْ تَقْعُدْ لِالْفَتَرَةِ فِي التَّحْصِيلِ.
وَكَانَ يَتَحَمَّلُ عَنْ شِيخِ الْإِسْلَامِ الْأَسْبِيجَانِيِّ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانِ تَحْصِيلِهِ
وَتَعْلِمِهِ فَتَرَةُ أَنْتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً بِانْقِلَابِ الْمُلْكِ، نَخْرُجُ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاظِرَةِ
إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُمَا الْأَسْتِمَرَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَظَلَّا يَدْرُسَانِهِ مَعًا أَنْتَيْ
عَشَرَةَ سَنَةً، فَصَارَ شَرِيكُهُ شِيخُ الْإِسْلَامِ الشَّافِعِيُّ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيَا،
وَكَانَ أَسْتَاذُنَا الشِّيخُ الْقَاضِيُّ الْإِمَامُ نَحْرُ الْإِسْلَامِ فَاضِيَخَانَ يَقُولُ:
يَسْبَغُ لِلْفَتَرَةِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابَهَا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ دَائِمًا لِيَنْسِرَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْعَ مِنَ الْفَقْهِ

(١) الْفَتَرَةُ: الْمُطْلَةُ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ وَاجِدًا عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَرْكُوا
الْمَذَا كَرَةَ أَنْتَمْ عَطْلَةَ الصِّيفِ.

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَشْتَغِلَ بِشَيْءٍ أَخْرَى غَيْرَ الْعِلْمِ ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ
الْفِقْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ صَنَعْتَ هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْخَدِ
فَنَّ أَرَادَ أَنْ يَتَرَكَ عَلَيْنَا هَذِهِ السَّاعَةَ فَلَيْتَكُمْ كُلُّكُمْ السَّاعَةَ (١)

وَدَخَلَ فَقِيهَ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُودُهُ فِي مَرْضٍ مُوْتَاهُ وَهُوَ يَحْرُدُ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ : رَبِّي الْجَارِ رَأَيْتَ أَفْضَلَ أُمَّ رَاجِلًا ؟ فَلَمْ يَعْرِفْ
الْجَوَابَ ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ . وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِي جَمِيعِ
أَوْقَاتِهِ حَتَّى يَجُدَّ لَذَّةُ عَظِيمَةٍ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ : رُوَى مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتَهُ
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزَعِ ؟ فَقَالَ كُنْتُ مُتَامِلًا فِي مَسْتَلَةِ مِنْ
مَسَائِلِ الْمَكَابِ (٢) فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُروجِ رُوْحِي ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

(١) فَلَيْتَكَ السَّاعَةَ : يَرِيدُ أَنْ مِنْ شَرِيعَةِ تَعْلِمُ الْفِقْهَ وَهُوَ يَنْبُوِي أَنْ يَتَرَكَ
الْاِشْتِغَالُ بِهِ فِي وَقْتِ الْأَرْقَاتِ كَانَتْ إِرَادَتُهُ فِي تَعْلِمِ الْفِقْهِ ضَعِيفَةٌ وَتَصْبِيْهُ
مَرْعِيَّاً وَمِنْ شَرِيعَةِ عَمَلِ شَيْءٍ وَهُوَ ضَعِيفُ الْإِرَادَةِ مَرْعِيَّعُ التَّصْبِيْمِ لَا يَنْجُوهُ
وَلَا يَلْعُغُ مِنْ شَيْءٍ ، لَا سِيَّما إِذَا كَانَ عَظِيمُ الشَّأْنِ جَلِيلُ الْقَدْرِ كَمِ الْفِقْهِ ، وَإِذْنُ
فِيْنِي لِهِ أَنْ يَتَرَكَ الْاِشْتِغَالُ بِهِ لَأَنَّهُ حَيْنَدَ غَيْرُ مُتَجَنِّجٍ وَعَبْتُ بِأَطْلَلِ

(٢) مُحَمَّدٌ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنَ . وَالْمَكَابِ بِصَيْغَةِ اسْمِ الْمَفْوَلِ : هُوَ الْعَبْدُ

بِهِرَاهَا ، وَلَا يَهْتَمُ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدِّنِ الْبَالِانِ الْمُمْ وَالْحَزَنَ لَا يَرِدُ الْمُصِيْبَةَ وَلَا يَنْفَعُ
بِلِ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعُقْلِ وَالْبَدْنِ ، وَيَخْلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ ، وَيَهْتَمُ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ
لَا لَهُ يَنْفَعُ . وَمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا هُمْ
الْمُعْيَشَةُ ، فَالْمُرَادُ مِنْ قَدْرِهِمْ لَا يَخْلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَلَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ شُغْلًا
يَخْلُ بِإِحْصَارِ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْمُمْ وَالْقَصْدُ مِنْ أَعْمَالِ
الْآخِرَةِ ، وَلَا بُدُّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَلَاقَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ الرُّوْسِعِ .
وَهُدَا أَخْتَارُوا الْغَرْبَةَ . وَلَا بُدُّ مِنْ تَحْمِلِ النَّصْبِ وَالْمَشْقَةِ فِي سَفَرِ الْعِلْمِ كَمَا
قَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ فِي سَفَرِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَنْقُلْ
عَنْهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ : «لَقَدْ لَقَيْنَا مِنْ سَفَرَنَا هَذَا نَصْبًا لِيُعْلَمَ أَنَّ
سَفَرُ الْعِلْمِ لَا يَخْلُو مِنَ التَّعَبِ ، لَا لَمَعَ الْعِلْمِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ
عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَبْرِ التَّعَبِ وَالنَّصْبِ . فَنَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ
وَجَدَ لَذَّةَ تَفُوقِ سَائِرِ لَذَّاتِ الدُّنْيَا ، وَهُدَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنَ إِذَا سَهَرَ
اللَّيَالِي وَأَعْلَمَتْ لَهُ الْمَشْكَلَاتُ يَقُولُ : أَيْنَ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ الْلَّذَّاتِ ؟

عمره : شفلتني مسائل المكابib عن الاستعداد لهذا اليوم ، ولأنما قال ذلك تواضعا .

(فصل في وقت التحصيل)

قيل : وقت التعلم من المهد إلى اللحد ، وأفضل الأوقات شرخ الشباب (١) وقت السحر ، وما بين العشاءين وينبغى لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته ، فإذا مل من علم يشتغل بعلم آخر ، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنه إذا مل من علم الكلام يقول : هاتوا ديوان الشعراء ، وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده الدفاتر ، وكان إذا مل من نوع ينظر في نوع آخر .

(فصل في الشفقة والنصيحة)

ينبغى أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحاً غير حاسد فالحسد يضر

الذى تعاقد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل يصير حراً بعد سداده لسيده

(١) شرخ الشباب : أوله ، والسرح : قبيل الصبح ، والعشاءان : المغرب والعشاء .

ولا ينفع . وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمة الله يقول : إن ابن المعلم يكون عالماً ، لأن المعلم يريد أن تكون تلاميذه عالماً ، فبركه اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالماً ، وكان يحكي أن الصدر الأجل برهان الأئمة رحمة الله حمل وقت السبق لأبنائه الصدر الشهيد حسام الدين والصدر السعيد تاج الدين رحهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى ، بعد جميع الأسابق وكان يقولان : طيَّبَتَا تكُلُّ وَتَمُلُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فقال أبوهما إن الغرباء وأولاد الكبار يأتونى من أقطار الأرض ، فلابد من أن أقدم أسباقهم . فبركه شفقته تفوق أبناءه على أكثر فقهاء أهل الأرض في ذلك العصر

وينبغى إلا ينزع أحداً ولا يخاذه لأنه يضيع أوقاته . قيل : الحسن مسجّرٍ يا حسانه ولّي مسكنٍ مسأويٍه . أشذنَ الشّيخ الإمام ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف يامِ خواهر زاده الفتى رحمة الله قال أشذنَ سلطانُ الشريعة يوسف المداني رحمة الله تعالى :

وَلَا تَجِزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءِ فَعْلِهِ سَيْكِفِيهِ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلٌ
وَقِيلَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغِمَ أَنفَ عَدُوِهِ فَلِبِكَرَ هَذَا الشِّعْرُ. وَأَنْشَدَ:
إِذَا شَتَّتَ أَنْ تُقْنِي عَدُوكَ رَاغِبًا وَتَقْتَلَهُ عَمَّا وَتَحْرِقُهُ هَمًا
فَرِمْ لِلْعَلَا وَأَزَدَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عَلَمًا أَزَادَ حَاسِدَهُ غَنَّا (١)
وَعَلَيْكَ أَنْ تَقْتَلَ بِعَصَالِيْغِ تَفْسِكَ لَا يَقْهِرُ عَدُوكَ. فَإِذَا قُتِّلَ بِعَصَالِيْغِ
تَفْسِكَ تَضَعَّنَ ذَلِكَ قَهْرُ عَدُوكَ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعَادَةِ فَإِنَّهَا تَضَعُكَ وَتُضِيِّعُ
أَوْقَانَكَ، وَعَلَيْكَ بِالْتَّحَمْلِ، لَا سِبَّا هِنَّ السُّفَهَاءِ. قَالَ عَيْسَى ابْنُ مُرْيَمَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ: أَحْتَمِلُوا مِنَ السُّفَهِيِّ وَاحِدَةً كَيْ تَرْبُحُوا عَشْرًا
وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ:

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرَنَا بَعْدَ قَرَنٍ فَلَمْ أَرْغِرْ خَتَالَ وَقَالَ (٢)

وَلَمْ أَرْ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقْتًا وَأَصَعَّبَ مِنْ مَعَادَةِ الرِّجَالِ

(١) رِمْ لِلْعَلَا: أَطْلَبَ الْعَلَا؛ فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ رَامَ الشَّيْدِ: طَلْبَهُ.

(٢) خَتَال: مُخَادِعٌ. قَالَ: كَارِهٌ، مِنْ قَلَاهُ يَقْلِهُ إِذَا كَرَهَهُ.

وَذَقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرَا فَمَا شَيْءَ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْنِي شَرًا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْشَا الْعِدَاوَةِ وَلَا يَحْلِ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ظُنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا» وَإِنَّمَا يَنْشَا ذَلِكَ مِنْ
خُبُثِ الْيَةِ وَسُوءِ السُّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيْبُ:
إِذَا سَأَءَ فَعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَدُهُ مِنْ تَوْهِمٍ (١)
وَعَادَيْ مُحَيْيِهِ بِقَوْلِ عَدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ (٢)
وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ:
تَنْجَعُ عَنِ الْقَبِيْحِ وَلَا تُرْدِهِ وَمِنْ أُولَيْهِ حَسَنًا فَرَدَهُ
سَتَكِنَ مِنْ عَدُوكَ كُلَّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكَدِّهُ
وَأَنْشَدَ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَنِ الْفَتْحُ الْبُشِّرَى رَحْمَهُ اللَّهُ:
ذُو الْعِقْلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يُسْوِمُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا (٣)

(١) يَعْتَدُهُ: يَقْتَبِهِ وَيَرْدِعُهُ مِنْ خَرَاطِرِ وَأَوْهَامِ

(٢) الْعِدَاوَةُ بِضمِّ الْيَنِّ جَمْعُ الْمَادِيِّ: وَهُوَ الْعِدَّةُ

(٣) الإِعْنَاتُ: الْإِحْرَاجُ مِنْ أَعْتَهُ إِذَا أَحْرَجَهُ وَأَوْقَعَهُ فِيهَا لَا يُسْتَطِعُ
الْخَرُوجُ مِنْهُ.

يَاهْلَلُ ! لَا تَنْقَرِقُ الْمَحْبَرَةَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَصَّى
الْصَّدُّرُ الشَّهِيدُ حَسَّامُ الدِّينِ أَبْنَهُ شَمَسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا يَسِيرًا
مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا ، وَأَشْتَرَى عَصَامُ بْنُ يُوسُفَ
قَلْمَانَ بْدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ ، فَالْمُعْمَرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ ،
فَيَنْبَغِي أَلَا يُضِيعَ الْأَوْقَاتَ وَالسَّاعَاتَ ، وَيَقْتِمُ اللَّيَالِ وَالْخَلَوَاتِ . عَنْ يَحْيَى
أَبْنِ مَعَادِ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الْلَّيلُ طَوِيلٌ فَلَا تَنْقُصُهُ بِأَثَامِكَ ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ
فَلَا تُكْدِرْهُ بِأَثَامِكَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتِمُ الشَّيْوخَ وَيَسْقِيَهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ
مَافَاتَ يُدْرِكُ ، كَمَا قَالَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : كَمْ مِنْ شَيْخٍ
كَبِيرٍ أَدْرَكَهُ وَمَا أَسْتَخْبَرَهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُشَتَّتًا هَذَا الْبَيْتُ :
لَهُوَ عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِ لَهُمَا مَا كُلُّ مَافَاتَ وَيَقْتِي يُلْقِي^(١)
قَالَ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ^(٢) . وَكَفَى
بِالْأَعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خَرِبًا وَخَسَارًا ، وَأَسْتَعْدِدُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلًا وَنَهَارًا ،

(١) يُلْقِي : بُوْجَدٌ (٢) يَعْنِي إِذَا كُنْتَ فِي طَلْبٍ أَمْرٍ فَغَرَغَرَهُ وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهِ .
— ٥٠ - نَلِيمٌ

فَلِيَخْتِرِ الْسُّلْطَنُ عَلَى حَرَبِهِ وَلِيَلْزَمِ الْإِنْصَاتَ إِنْ صَانَاهَا^(١)

(فصل في الاستفادة)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ
وَطَرِيقُ الْإِسْتَفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةٌ حَتَّى يَكْتُبَ
مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَادِدِ ، فَقَدْ قِيلَ : مَنْ حَفَظَ فَرْ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَ^(٢)
وَقِيلَ : الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ
وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْأَسْتَاذَ زَيْنَ
الْإِسْلَامِ الْمُعْرُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ : قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ : رَأَيْتُ
الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَحْمَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَعْدَلِ مَا قُلْتُ لَهُمْ . قَالَ لِي : هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةٌ ؟ قُلْتُ مَامَعِي مَحْبَرَةً . قَالَ

(١) الْإِنْصَاتِ : الْإِصْنَاعِ ، وَيُرِيدُ بِهِ السَّكُوتُ ، إِنْ صَانَاهَا : أَيْ إِنْ أَحْدَثَ
صُوتًا وَصَاحَ ، فَالْأَلْفَ فِي الْإِشَاعَ

(٢) مِنْ حَفَظِ فَرْ : أَيْ مِنْ حَفَظِ شَيْئًا فَرْ مِنْ مَا حَفَظَهُ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا
أَسْتَغْرَقَ وَسَكَنَ عَنْهُ مَا كَتَبَهُ .

طعامَ السوقِ أقربُ للنجاسةِ والخيانةِ، وَابعدُ عنِ ذِكْرِ اللهِ، وَأقربُ إِلَى
الغفلةِ، وَلَأَنَّ أَبْصَارَ الْفَقِيرِ أَقْعُدَ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشِّرَاءِ مِنْهُ فَيَتَأذَّونَ
بِذَلِكَ فَذَهَبَ بِرَبِّكُهُ

حُكِيَّ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ رَحْمَةُ اللهِ كَانَ فِي حَالٍ
تَعْلِمُهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرَّسَاقِ وَيَهْبِيُّ لَهُ
طَعَامَهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى فِي يَتَّ أَبْنَهُ خُبْزَ السُّوقِ يَوْمًا فَلَمْ
يُكْلِمْهُ سَاخْطَا عَلَيْهِ، فَاعْتَذَرَ أَبُوهُ وَقَالَ: مَا أَشْتَرَتْهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ، وَلَكِنَّ
أَحْضَرَهُ شَرِيكِيُّ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَوْرَعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَجْتَرِي
شَرِيكُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَكُنَا كَانُوا يَتَورَّعُونَ، فَلَذِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّشْرِ
حَتَّى يَقْبِيَ أَسْهُمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَوَصَّى فَقِيهُ مِنْ زَهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبُ عِلْمٍ
فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَحْرَزَ عَنِ الْغَيْبَةِ وَعَنِ بُجُولَةِ الْمَكَنَارِ^(١)، وَقَالَ
إِنَّ مَنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ يُسْرُقُ عُمْرَكَ، وَيُضِيِّعُ أَوْقَانَكَ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنَّ

(١) المَكَنَارُ: كَثْبُ الْكَلَامِ.

وَلَأَبْدُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمِيلِ الْمَشَقَةِ وَالْمَذَلَّةِ فِي طَالِبِ الْعِلْمِ، وَالْمَلْقُ مَذْمُومٌ
إِلَّا فِي طَالِبِ الْعِلْمِ فَبِأَنَّهُ لَأَبْدُ لَهُ مِنَ الْمَلْقِ لِلْأَسْتَاذِ وَالشَّرِكَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلْأَسْفَادَةِ
مِنْهُمْ، قِيلَ: الْعِلْمُ عَزٌّ لِأَذْلِفِيهِ، وَلَا يَدْرُكُ إِلَّا بَذَلٌ لِأَعْزَفِيهِ، وَقَالَ الْفَاتِحُ:
أَرَى لَكَ فَسَاسَتَهِي أَنْ تَعْرِهَا فَلَمَّا تَسَالَ النَّزَّارُ حَتَّى تُذَلِّلَ

(فصل في الورع في حالة التعلم)

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعْلِمِ أَبْلَاهُ اللهُ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ؟
إِمَانُ مُبِيِّنِهِ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوْقَعُهُ فِي الرَّسَاقِ^(١) أَوْ يَبْتَلِيهِ بِخَدْمَةِ السُّلْطَانِ،
فَهُمْ مَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعُ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْفَعُ، وَالْعِلْمُ لَهُ أَيْسَرُ، وَفَوْانِدُهُ
أَكْثَرُ، وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَجْتَرِزَ عَنِ الشَّيْءِ وَكَثْرَةُ النَّوْمِ، وَكَثْرَةُ
الْكَلَامِ فِيهَا لَا يَنْفَعُ، وَأَنْ يَتَحْرَزَ عَنِ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أَمْكَنَ لَأَنَّ

(١) الرَّسَاقِ جَمْعُ رَسَاقٍ: وَهُوَ الرِّيفُ وَالقَرْيَةُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا
الْحَدِيثُ مُوْضِعُ.

يَحْتَلِبْ أَهْلُ الْفَسَادِ وَالْمُعَاصِي وَالْتَّعْطِيلِ وَيَمْحَاوْرُ الصَّلَاةَ فَإِنَّ الْمُجَاوِرَةَ مُؤْزِرَةٌ لِلْأَخْلَالِ، وَإِنْ يَجْلِسْ مُسْتَقْبِلًا لِلنَّفْرَةِ وَيُكُونَ مُسْتَنًّا^(١) بِسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقْتُلُ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيَحْتَرُزُ عَنْ دُعَاءِ الظَّلُومِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغَرْبَةِ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ فَرَجَعَا بَعْدَ سَنَيْنِ إِلَى بَلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَهَ أَحَدُهُمَا لِيَفْقَهَ الْآخَرَ، فَأَمْلَقَ فَقْهَهُهُمَا الْبَلَدَةَ وَسَالُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَهُمَا وَجُلُوسُهُمَا فَأَخْبَرُوا أَنَّ جُلُوسَ الَّذِي تَفَقَّهَ فِي حَالِ التَّكَرَّارِ، كَانَ مُسْتَقْبِلًا لِلنَّفْرَةِ وَالْمِصْرَ^(٢) الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمَ فِيهِ وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدِرًا لِلنَّفْرَةِ وَوَجَهَهُ إِلَى غَيْرِ الْمِصْرِ؛ فَانْفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفَقِيهَاءُ أَنَّ الْفَقِيهَةَ يَرْكَدُ أَسْتِقْبَالَ لِلنَّفْرَةِ [ذَهَبَ الْسُّنْنُ فِي الْجُلُوسِ، إِلَأَعْنَدَ الْفَرْوَرَةَ وَبِرْكَهُ دُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمِصْرَ لَا يَخْلُو عَنِ الْعِبَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ عَابِدَامَنَ الْعِبَادَ دَعَاهُ فِي اللَّيْلِ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَتَهَوَّنَ بِالْأَدَابِ وَالسَّنَنِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَوَّنُ بِالْأَدَابِ يُحْرِمُ الْسُّنْنَ وَمَنْ تَهَوَّنَ بِالسَّنَنِ حُرِمَ

(١) مُسْتَنٌ: مُتَبَعًا لِسُنْنَةِ النَّبِيِّ

(٢) الْمِصْرُ: الْمَدِينَةُ

الْفَرَائِضَ وَمَنْ تَهَوَّنَ بِالْفَرَائِضِ حُرِمَ الْآخِرَةَ
وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الصَّلَاةَ وَيُصْلِي صَلَاةَ الْخَائِشِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنَ لَهُ عَلَى

الْتَّحْصِيلِ وَالْتَّعْلِمِ

أَنْشَدَتُ لِلشِّيخِ الْجَلِيلِ الرَّاهِدِ الْمَحَاجِجَ بَعْمَ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدَ النَّسِيِّ
كُنْ لِلَّأَوَامِرِ وَالنُّوَاهِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَاضِيًّا وَمَحَافِظًا
وَأَطْلُبُ عُلُومَ الشَّرِيعَ وَأَجْهَدُ وَاسْتَعِنُ بِالْطَّيَّاتِ تَصْرِيْفَهَا حَافِظًا
وَأَسْأَلُ إِلَهَكَ حَفْظَ حَفْظَكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا
وَقَالَ أَبِي ضَرِّهِ اللَّهُ:

أَطِيعُوا وَجِدُوا وَلَا تَكُلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ
وَلَا تَهْجُووا بِخَيْرِ الْوَرَى قَلِيلًا مِنَ الْتَّبْلِ مَا يَهْجُوْنَ^(١)
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصْبِحَ دُفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِمَهُ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) لَاهِجُوا: لَا تَأْتِمُوا، وَخَيْرٌ: جَمِيعُ الْخَيْرِ بِتَشْدِيدِ الْياءِ الْمُكْسُوَةِ وَالْوَرَى:
الْخَلْقُ، وَفِي الشِّعْرِ اتِّبَاعُ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ (١) أَمْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ . وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ . وَيُكْتَبُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ وَكَبَيْعُ سُوْمَ حَفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
فَإِنَّ الْحَفْظَ فَضْلٌ مِنْ إِلَهِي وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُهْدِي لِمَعَاصِي
وَالسَّوْاكُ وَشُرْبُ الْعَسْلِ وَأَكْلُ الْكَنْدَرِ (٢) مَعَ السُّكَرِ ، وَأَكْلُ إِحْدَى
وَعَشْرِينَ زَيْنَةَ حِرَاءَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيقِ يُورُثُ الْحَفْظَ وَيُشْفِي مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يَقْلُلُ الْبَلْغُ وَالرَّطْبَوَاتِ يَرِيدُ فِي الْحَفْظِ
وَأَمَّا مَا يُورُثُ النِّسَانَ فَالْمَعَاصِي وَكُثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ فِي
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكُثْرَةُ الْأَشْغَالِ وَالْعَلَاقَاتِ ، وَكُلُّ مَا يَرِيدُ فِي الْبَلْغِ يُورُثُ
النِّسَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْمِ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَضْرِ

(١) مَكْتُوبَةٌ : أَيْ صَلَاةٌ مَفْرُوضَةٌ

(٢) الْكَنْدَرُ بضمِ الْكَافِ وَالْدَالِ : نَوْعٌ مِنَ الْمَلْكِ (الْبَانِ الْذَّكَرِ) .

لَهُ دَفَرٌ فِي كُلِّ (١) لَمْ تَتَبَعِ الْمَكْتُوبَةُ فِي قَلْبِهِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفَرِ
يَاضٌ لِيُكْتَبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ، وَيَسْتَصْبِحُ الْمُحْبَرَةُ لِيُكْتَبَ
مَا يَسْتَعِيْ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ

(فصلٌ فِي يَورُثِ الْحَفْظِ)

وَأَقْوَى أَسْبَابِ الْحَفْظِ الْجَدُّ وَالْمُوَاظَبَةُ وَتَقْلِيلُ الْفَنَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيلِ
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَفْظِ ، قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزَيَّدُ لِلْحَفْظِ مِنْ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظَرًا (٢) . وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا أَفْضَلُ . وَرَأَى شَدَادُ بْنُ
حَكِيمٍ بَعْضَ إِخْرَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتَهُ فَقَالَ أَيْ شَيْءٌ وَجَدَهُ أَنْفَعَ ؟ قَالَ
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا ، وَيَقُولُ عِنْدَ رَدْفَعِ الْكِتَابِ : بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدُ كُلِّ حَرْفٍ كُتُبٌ وَيُكْتَبُ أَبْدُ الْأَبْدِينَ وَدَهْرُ الدَّاهِرِينَ

(١) الْكَمُ : مَدْخُلُ الْيَدِ وَمَخْرُجُهَا مِنِ التَّوْبَ وَالْمَرَادِ الْجَيْبِ

(٢) نَظَرًا أَيْ تَلَوَّةٌ فِي الْمَصْفَحِ .

فَقُلْتُ ذَرِينِي وَأَعْذِرِينِي فَإِنِّي شُفِعْتُ بِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَكَفَفْهَا^(١)
 وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْتَّقَى غَنِيَ عَنْ غَنَاءِ الْفَانِيَاتِ وَعَرَفْهَا^(٢)
 أَمَا أَمْسَابُ نِسَانِ الْعِلْمِ فَأَكُلُّ الْكَبْرَةِ الرَّطْبَةِ وَأَكُلُّ الثَّفَاحِ الْحَامِضِ
 وَالنَّظَرِ إِلَى الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةُ لَوْحِ الْقُبُوْرِ، وَالْمَرْوُدُ بَيْنَ قَطَارِ الْجَمَالِ وَالْفَلَاقِ
 الْفَقْلِ الْحَيِّ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحِجَامَةُ عَلَى نُقْرَةِ الْفَقَا، كُلُّهَا تُورُثُ النِّسَانَ
 (فَصِلُّ فِي بَيْلِ الْرِّزْقِ وَمَا يَنْتَهِي وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَمَا يَنْقُصُ)
 ثُمَّ لَابِدُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّتِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ
 وَالصَّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِسُعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَفُوا كُتُبًا
 فَأَوْرَدْتُ هُنَّا بَعْضًا عَلَى سَيْلِ الْأَخْتَصَارِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: لَا يَرِدُ الْقَدْرُ إِلَّا الدَّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبَرُّ، فَإِنَّ الرَّجُلَ
 لِيَحْرُمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ .

(١) ذَرِينِي: اتَرْكِنِي . اعْذِرِينِي: اسْجِنِي لِي بالِتَّخْلُّعِ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِعِبَدِكَ.
 (٢) طَلَابُ: طَلَبُ . غَنَاءُ بَكْرِ الْفَنِّ: الْتَّلَهِينُ وَالْتَّغْنِيُّ . الْفَانِيَاتُ: الْجَمِيلَاتُ،
 وَالْمَرْفُ: بَنْتُ الْعِينِ الرَّانِحةُ الطَّيْةُ .

وَلَا يَنْفُعُ وَهُمُ الدِّينَا لَا تَخْلُو عَنِ الظُّلْلَةِ فِي الْقَلْبِ، وَهُمُ الْآخِرَةِ لَا تَخْلُو
 عَنِ النُّورِ فِي الْقَلْبِ، وَيَظْهُرُ أَثْرُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَمِمَّ الدِّينَا يَنْعَنُهُ عَنِ الْخَيْرِ
 وَمِمَّ الْآخِرَةِ يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ، وَالْإِشْتِغَالُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْخَسُوعِ، وَتَحْصِيلُ الْعِلْمِ
 يَنْفِي الْهُمَّ وَالْحَزَنَ كَمَا قَالَ الشِّيخُ الْإِمَامُ نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْغِيْنَافِيْ فِي قَصِيْدَتِهِ لَهُ:
 أَعْتَنَّ نَصْرَ بْنَ حَسَنَ بِكُلِّ عِلْمٍ يَخْتَرُ
 ذَلِكَ الَّذِي يَنْفِي الْحَزَنَ وَغَيْرُهُ لَا يَوْئِنُ
 وَقَالَ الشِّيخُ الْإِمَامُ الْأَجْلَنِيْمُ الدِّينُ عَمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ الْفَسِيْنِ فِي أَمْ وَلَدِهِ
 سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَبَيَّنَ بِطَرْفِهَا وَلَمَعَتْ خَدِيهَا وَلَمَعَتْ طَرْفِهَا^(١)
 سَبَّتِي وَأَصْبَتِي قَتَّاهَ مَلِيَّةً تَحْيِرُتُ الْأَوْهَامِ فِي كُنْهِ وَصَفْهَا^(٢)

(١) تَبَيَّنَ: شَفَعْتَنِي حَمَّا . لَمَعَتْ الْحَدِينُ: بِرِيقِهَا وَنَصَارِهَا، لَمَعَتْ طَرْفِهَا: بِقَالِ
 لَمَحَ إِلَيْهِ بِفَتْحِ الْبَيْمِ أَيْ اخْتَلَسَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَالْطَّرْفُ: الْعِينُ وَالْمَقْصُودُ هُنَّا حَسَنُ
 النَّظَرُ وَرَشَّافُ الْأَلْنَفَاتُ

(٢) سَبَّتِي: أَسْرَقْتَنِي . أَصْبَتِي: شَاقَنِي وَأَهَاجَتِي نَشَرَةُ الصَّبَا . الْأَوْهَامُ هُنَّا
 بَعْنِ الْمَقْوُلِ . كُنْهُ وَصَفْهَا: حَقِيقَةُ وَصَفَهَا، وَإِنَّمَا تَحْيِرُتُ الْمَقْوُلِ فِي حَقِيقَةِ
 وَصَفَهَا لَأَنَّهَا انْهَرَتْ بِعِصَمِهَا كَمَا تَنْهَرُ الْعِينُ بِضُوءِ الشَّمْسِ فَلَا تَسْتَعْلِمُ النَّظَرُ إِلَيْهَا .

وَالْمَشْيُ قُدَامَ الْمَشَايِخِ وَنَدَاءُ الْأَبْوَيْنِ بِاسْتِهْمَاءِ، وَالْخَلَالُ بِكُلِّ خَشْبَةِ^(١)،
وَغَسلُ الْيَدَيْنِ بِالطَّينِ وَالْتَّرَابِ، وَالْجُلوْسُ عَلَى الْعَتَبَةِ وَالْأَنْكَاءِ عَلَى أَحَدِ
مَصَرَّاءِ الْبَابِ، وَالْتَّوْضُو فِي الْمَبْرَزِ^(٢)، وَخِيَاطَةُ التَّوْبَ عَلَى بَدْنِهِ،
وَتَحْفِيفُ الْوَجْهِ بِالثَّوْبِ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْمُنْكَبُوْتِ فِي الْبَيْتِ وَالْهَاءُونُ بِالصَّلَاةِ
وَإِسْرَاعُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَالْإِبْكَارُ بِالْذَّهَابِ إِلَى
الْسُّوقِ. وَالْإِبْطَاءُ فِي الرُّجُوعِ مِنْهُ، وَشِرَاءُ كَثِيرَاتِ الْخَيْرِ مِنَ الْفَقَرَاءِ
الْسُّؤَالُ وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ، وَتَرْكُ تَخْمِيرِ^(٣) الْأَوَانِيِّ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ
بِالنَّفْسِ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقَرَ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْأَثَارِ، وَكَذَا الْكَتَابَةُ
بِالْقَلْمَنِ الْمَعْقُودِ^(٤)، وَالْأَمْشَاطُ بِشَطِّ مُنْكَسِ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لِلْوَالِدِينِ
وَالْتَّعْمُ قَاعِدًا، وَالْتَّرْوُلُ^(٥) قَائِمًا، وَالْبَخْلُ وَالْتَّقْتِيرُ وَالْإِسْرَافُ

(١) الْخَلَالُ: أَيْ يَخْلُلُ أَسْنَانَهُ بِأَيْ شَيْءٍ يَمْحُدُهُ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَتَخَلَّ بِعُوْدِ
الْخَلَالِ لِأَنَّهُ رَفِيعٌ وَلَيْسَ مِنْهُ ضَرَرٌ (٢) الْمَبْرَزُ: مَكَانُ التَّبَرْزِ، الْمَرْاحِضُ
(٣) تَخْمِيرُ الْأَوَانِيِّ: تَنْظِيفُهَا (٤) الْقَلْمَنِ الْمَعْقُودُ: هُوَ الْقَلْمَنُ الَّذِي كَسَرَ شَمْ
رِبْطَ بَشَّيْهٍ لِمُكَنَّ اسْتِهْمَاءِ (٥) الْتَّرْوُلُ لِبِسِ السَّرَّوَالِ.

بَيَّنَتْ بِهَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ أَرْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حِرْمَانِ الرِّزْقِ، خُصُوصًا
الْكَذَبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقَرَ وَقَدْوَرَدَ فِي حَدِيثٍ خَاصٍ، وَكَذَا نَوْمُ الصَّبْحَةِ
يَمْنَعُ الرِّزْقَ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقَرَ وَقَدْ أَلْمَ أَيْضًا قَالَ الْقَائِلُ:
سُرُورُ النَّاسِ فِي لِبِسِ الْبَلَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ النَّعَالِينِ
وَقَالَ بِعِضِهِمْ: الَّذِينَ مِنَ الْخَسَرَانِ أَنْ لَيَأْتِيَ عَمْرٌ بِلَا نَعْيٍ وَتَحْسُبُ مِنْ عُمْرِي
وَقَالَ آخَرُ:

قُمُ الْلَّيلَ يَاهْدِي الْمَلَكَ تَرْشِدُ إِلَى تَكْمِيْلِ الْلَّيلِ وَالْعُمْرِ يَنْفَدِدُ
وَالنَّوْمُ عُرِيَانَا، وَالْبَوْلُ عُرِيَانَا، وَالْأَكْلُ جُنْبَا، وَالْأَكْلُ مُتَكَبِّلًا عَلَى
جَنْبِ، وَالْهَاءُونُ بِسَقَاطَةِ^(١) الْمَائِدَةِ، وَحَرْقُ قِشْرِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ، وَكَنْسُ
الْبَيْتِ بِالْمَنْذِيلِ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي الْلَّيلِ، وَتَرْكُ الْقَهَّامَةِ^(٢) فِي الْبَيْتِ؛

(١) سَقَاطَةُ الشَّيْءِ: مَا يَسْقُطُ مِنْهُ عَادَةً. الْمَائِدَةُ: الْخَرَانُ، فَقَاطُ الْمَائِدَةِ
مُوقَنَاتُ الْحَبْزِ وَنَحْوُهُ (٢) الْقَهَّامَةُ: الْكَنَّاسَةُ.

والكلل والتواzi، والتهاون في الأمور

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْتَرِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ»،
وَالْبُكُورُ مُبَارَكٌ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ النَّعْمَ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ، وَحُسْنُ الْخَطْ
مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ، وَطَيْبُ الْكَلَامِ يَزِيدُ فِي الْحَفْظِ وَالرِّزْقِ.
وَعَنْ الْمَسْنُونِ بْنِ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَنْسُ الْفِنَاءِ، وَغَسلُ الْإِثْمَاءِ،
مُجْلِبَةُ النَّقْنِ، وَأَقْوَى الْأَسَابِبِ الْجَالِبَةِ لِلرِّزْقِ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالْعَظِيمِ
وَالْخُشُوعُ وَتَعْدِيلُ الْأَرْكَانِ وَسَائِرِ وَاجِبَاتِهَا وَسُنْنَتِهَا وَآدَابِهَا، وَصَلَاةُ
الضَّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مُشْهُورَةٌ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيلِ
وَفَتَ النَّوْمُ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلْكِ وَالْمَزْمَلِ وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشِي، وَأَمْ تَرْحَ
لَكَ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ، وَالْمُدَاؤَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سَنَةِ
الْفَجْرِ وَالْوَتْرِ فِي الْبَيْتِ، وَالْأَيْتَكُلُّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدِ الْوَتْرِ، وَلَا يُكْثِرُ
بِحَالَةِ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَيْتَكُلُّمُ بِكَلَامٍ لَغُوَّغَيْرِ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدِينِهِ

قال: من أشتغل بما لا يعنيه يفوته ما يعنيه ^(١) قال بزر جهر: إذا رأيت
الرجل يكثر الكلام فاستيقن بعنونه. وقال على كرم الله وجهه: إذا
تم العقل نقص الكلام. وقال المصنف: أتفقى هذا المعنى:
إذا تم عقل المرء قل كلامه وأيقن بحق المرء إن كان مكترا
وقال آخر:

النطق زين والسكت سلام فإذا نطقت فلا تكون مكتارا
ما إن ندمت على سكوت مرأة ولقد ندمت على الكلام مرأة ^(٢)
ومن يزيد في الرزق أن يقول كل يوم بعد أشقاء الفجر إلى وقت
الصلوة: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده استغفر الله وآتُرب
إليه، مائة مرأة، وأن يقول: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، كل يوم
صباحاً ومساءً مائة مرأة، وأن يقول بعد صلاة الفجر كل يوم: الحمد لله
وسبحان الله ولا إله إلا الله، ملائنا وملائين مرأة، وبعد صلاة المغرب
أيضاً، ويستغفر الله أربعين مرأة بعد صلاة الفجر، ويكثر من قول:

(١) يعني: يهمه (٢) ما إن ندمت: أي ما ندمت فإن زاندة.

الرَّحْمٌ^(١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيُسَى كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَلِئَ الْمِيزَانَ وَمُتَهَّيِ الْعِلْمُ وَمَبْلَغُ الرَّضَا، وَرَزْنَةُ الْعَرْشِ، وَالْمَحْمُدُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَلِئَ الْمِيزَانَ، وَمُتَهَّيِ الْعِلْمُ وَمَبْلَغُ الرَّضَا، وَرَزْنَةُ الْعَرْشِ.
وَأَنْ يَخْتَرَزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرَّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الْفُرْسُورَةِ وَإِسْبَاغِ الْوَضُومِ وَالصَّلَاةِ بِالْتَّعْظِيمِ، وَالْقُرْآنُ بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ وَحِفْظُ الصِّحَّةِ، وَلَا يَدْعُ مِنْ أَنْ يَتَعْلَمَ شَيْئاً مِنَ الْطَّبِّ وَيَتَبَرَّكُ بِالآتَارِ الْوَارَدَةِ فِي الْطَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَغْفِرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسْمَى بِطَبِّ الْيَنِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُجَدِّدُهُ مِنْ يَطْلُبُهُ وَالْمَحْمُدُ لَهُ عَلَى الْتَّهَامِ، وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مَيِّدَنَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ وَالْمَحْمُدُ لَهُ عَلَى الْتَّهَامِ، عَلَى تَمَرِ الدَّهْوِ وَتَعَاقِبِ الْيَامِ آمِينَ.

(١) صلة الرسم: برالأهل والأقارب. جاء في الجامع الصغير أن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله كتب في أُم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرضين: إني أنا الرحمن الرحيم، خلقت الرسم وشققت لها اسماء من لسمى، فن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته».

وَالْمَحْمُدُ لَهُ أُولَآ وَآخِرَا

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى الَّتِي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ اغْنِي بِحَلَالَكَ عَنْ حَرَامَكَ، وَأَكْفِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سَوَّاكَ، وَيَقُولُ هَذَا النَّهَارُ كُلُّ يَوْمٍ وَلِيَلَةٌ: أَنْتَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَالَمُ السُّرُورِ وَالْخَفْيِ، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دِيَانُ^(١) يَوْمِ الدِّينِ لَمْ تَرُلْ وَلَا تَرَالْ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوءٌ وَاحِدٌ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهْمَنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصْوِرُ لِلْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ: إِلَرْ وَرَكُ الأَذَى، وَتَوْقِيرُ^(٢) الشَّيْوخِ، وَصَلَةُ

(١) الديان: الفهار (٢) توقير الشيوخ: تعظيمهم.